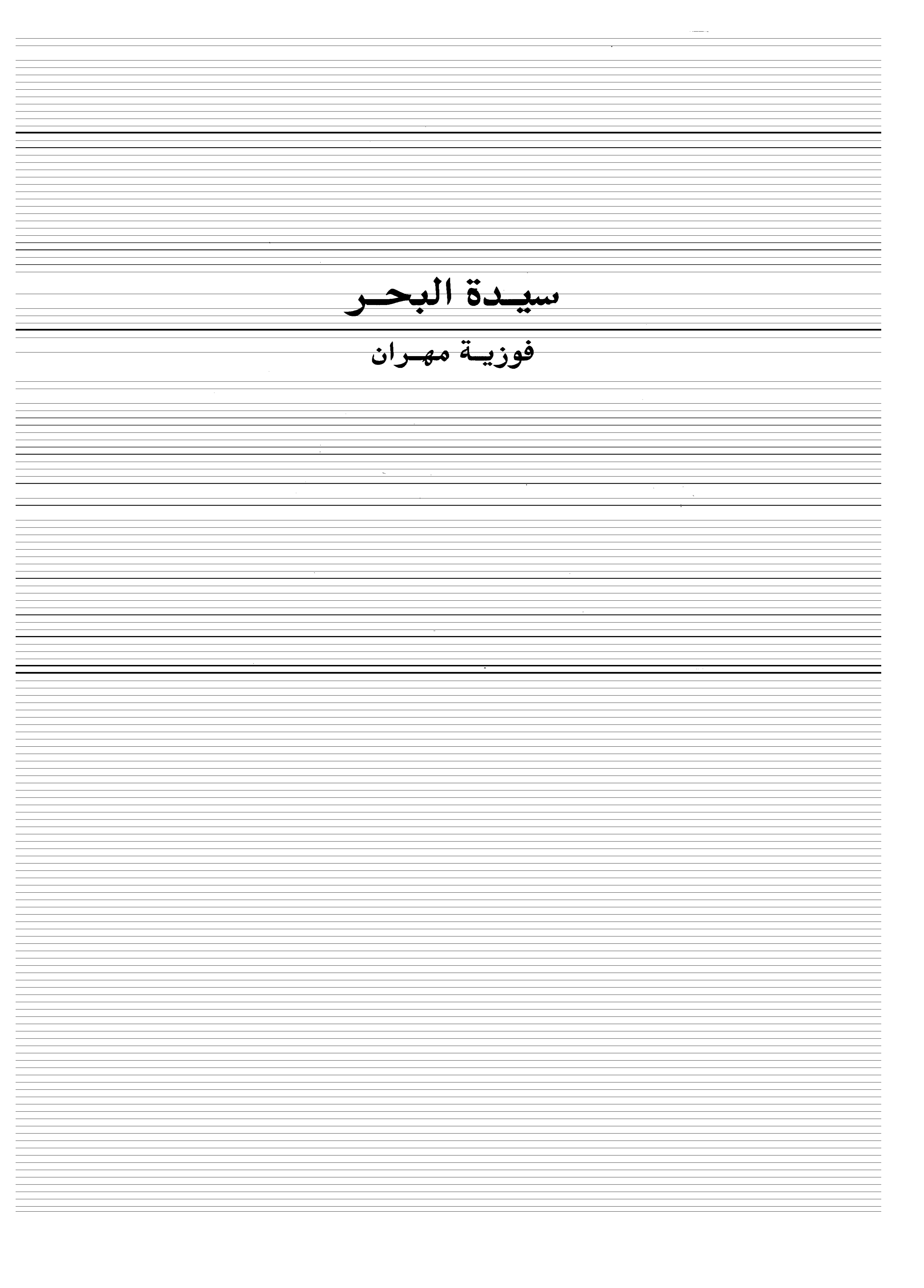


سيـدة البحــر

فوزيـة مهـران

وزارة الثقافة – الهيئة العامة لقصور الثقافة

إقليم القاهرة الكبرى
وشمال الصعيد الثقافى

المؤتمر الخامس للإقليم

الفيوم – ١٣ : ١٥ فبراير ٢٠٠٥

(ثقافة البيئة – ثقافة النص)

رئيس الإقليم
عبد الرحمن نور الدين

رئيس المؤتمر
أ.د. حامد أبو أحمد

أمين عام المؤتمر
محمد عبد المعطى

أعد الكتاب للنشر
حمدى سليمان
سمير عبد الفتاح

التدقيق اللغوى
محمد أبو المجد

الإشراف الإدارى
منيرة بلال

أمانة المؤتمر

أ. محمد مستجاب
د. مصطفى الضبع
أ. ربيع مفتاح
د. أشرف عطية
أ. نور سليمان
أ. عمر غراب
أ. عمارة إبراهيم
أ. سامى سرحان
أ. أحمد قرنى

على سبيل التقديم

عادة ما تختلف الآراء عند طرح اسم علم أو أديب أو رمز من رموز الثقافة لتكريمه فى أحد المؤتمرات .

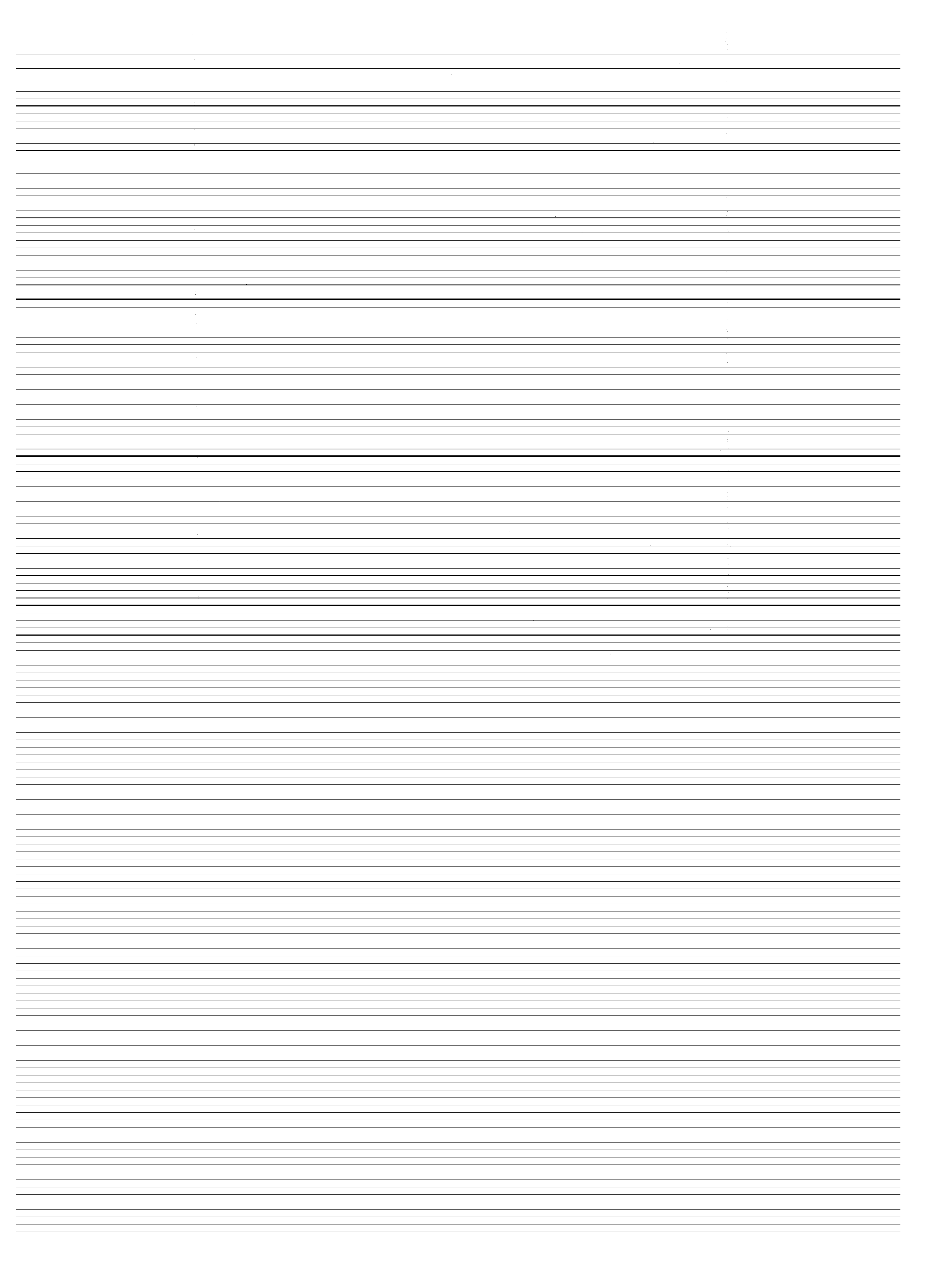
إلا أن أمانة مؤتمرنا لم تختلف أو تتحفظ عندما طرح اسم فوزية مهران للتكريم فى هذا المؤتمر ، بل كان الإجماع تاماً على كاتبة أخلصت لتجربتها وذاتها وكتاباتها .

فأديبتنا لم يقتصر دورها على ما قدمته من إبداع أدبى جميل أثرى المكتبة العربية .. وإنما امتد لكل مناحى الحياة ، فأحببناها فى الثقافة الجماهيرية "التى تعدها من النقاط المضيئة فى مسيرتها" .. وهى تجوب أقاليم هذا الوطن ضمن القوافل الثقافية مرافقة لرموز الثقافة والفكر فى مصر لتجالس البسطاء على ضفاف النيل وفى الأجران والحقول والواحات .

أحببناها وهى تكتب عن أدباء مصر وفنانيها فى هذه الأماكن البعيدة عن الضوء ، مترفقة بهم ، حانية عليهم ، مقدمة لهم خلاصة تجربتها لينطلقوا ويبدعوا فى كل المجالات .

تحية تقدير لفوزية مهران .. الأديبة ، المثقفة ، الواعية بدورها الوطنى .

عبد الرحمن نور الدين



الكتابـة .. عندمـا تسـاوى الحيـاة

لم تكن مفاجـأة ، بل تظاهـــرة حـسب وتقدير واسـتدراك حـين طـرح اسـم فوزيـة مهـران لـتكرم فى هذا المؤتمر .

ففوزيـة مهـران .. هـذا الكـائن الجميل ، بنت الإسكندرية التى طافت ربوع مصـر ، ووضعت لمساتها فى كل مكان .. لم تعرف الفصل بين النص والحياة ، فالإنسـان لديهـا حاضـر بقـوة داخل النص وخارجه . وهـى سمه تميز بهـا جيلهـا مـن الكـاتبات ، حيـث تواشـجت لديـه الأفكـار والـرؤى الاجتماعية مـع الواقـع الرازح ، وتضافر الحلم مع الحقيقة ، والنص مع المنصوص .

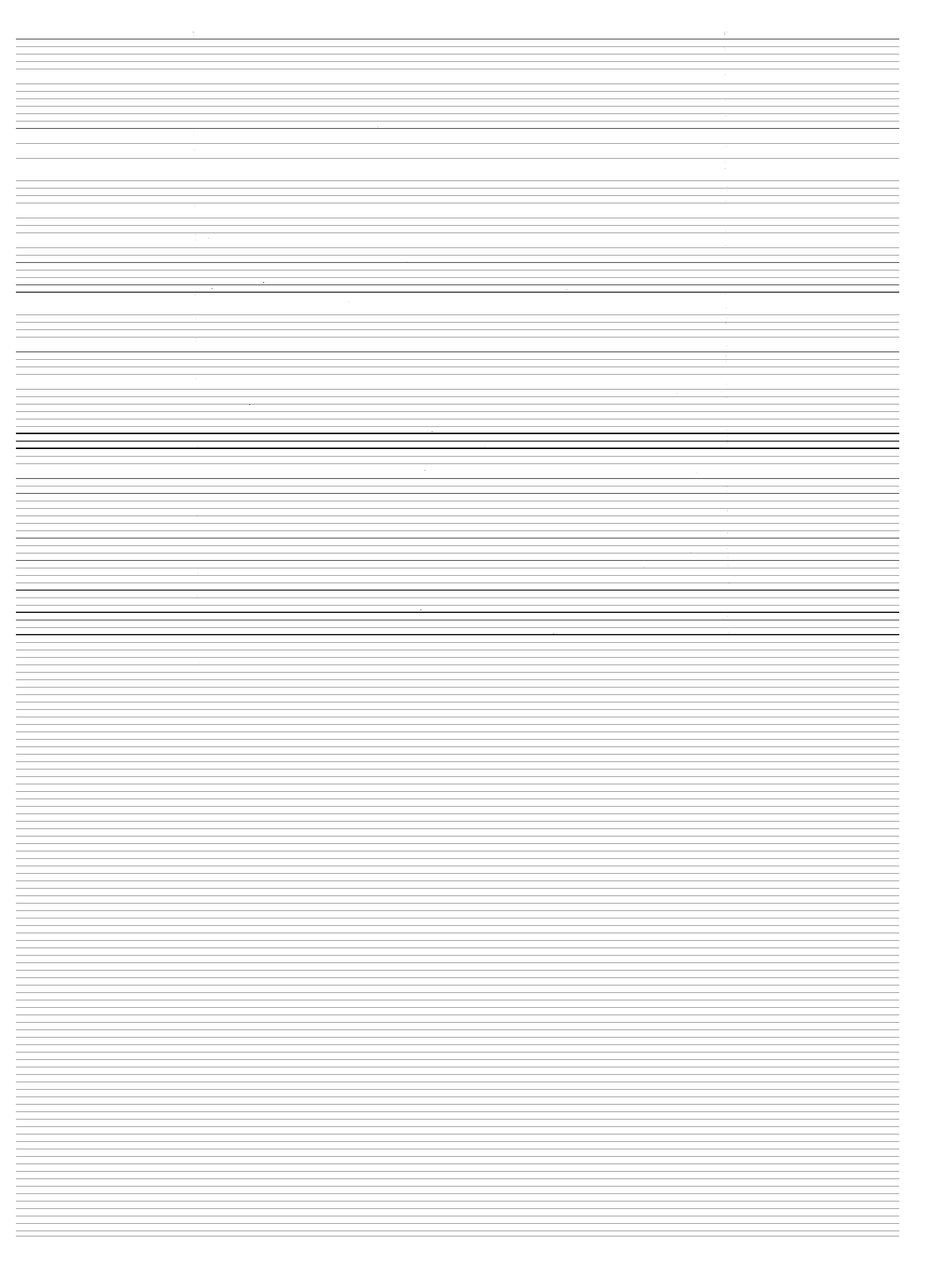
ومـن ثـم كـان الانحيـاز لكـل مـا هـو إنسـانى ونبيل هـو مـا يـؤرق الجميـع سعياً لبلوغه حتى ولو قادهم ذلك إلى التصادم مع أعداء الحرية ..

كـان "بيت الطالبات" هـو أول محطة إبداعية وجغرافية لها فى القاهـرة قبل أن تتوقف فـى "روزاليوسـف " وتواصل إبداعهـا الموازى .. إبـداع الواقـع / الحـلم ، والحلم الذى يتشكل على أرض الواقع .

وبعـد هـاتين المحطتين الموفقـتين ، استمرت فوزيـة مهـران فـى الانطـلاق والـتألق فكتبت القصة والرواية والمقالة والدراسة الأدبية والاجتماعية والدينية ثم الفكرية ، لتضيف لزهور الوطن زهرة جديدة ، ورافدا مهما من روافد الإبداع الجميل .

هـى إذن رحلـة مـن العطـاء والإشـارات والطقـوس والمعـارك الـتى خاضـتها كاتبتنا من أجل حرية المرأة الإنسان والإبداع .. لتوكيد كل ما هو جميل ، فى سعى لافت للوصول إلى الأجمل والأكمل؛ لذلك يأتى تكريم فوزية مهران ليكون تكريماً للعطاء المتواصل وللزمن الجميل .

التحريـــر



تجربة كتابة وحياة

فوزية مهران

ولدت بجانب البحر بالإسكندرية .

والبحر هو اللوحة الأولى التى انطبعت على عينى وقلبى .

هو الدهشة الأولى ، وبدء الرعشة الخلاقة داخلى .

(بداية التفكير والتأمل الرغبة فى التعبير والحكى

– مسرى الأحلام والأشواق والنظر دائماً إلى أمام) .

كنت كمن يتعلم الأسماء أشهد الحركة والسعى والذوبان البدء

واللقاء والغناء وقوى الصراع والالتحام ومتعة المواجهة .

البحر عشقى وكنزى ومسرحى

(حلمت بأن ينشق البحر يوماً عن فارس بحار، أجوب معه الموانى البعيدة. أشهد أحلام الناس ومعاناتهم، أعود لأحكى عنهم وإليهم وتتسع دائرة المحبة والمعرفة) .

أجد فى البحر رزقاً وأكتسب من مهاراتى وإلهام حياتى .

وتعلمت إقامة الكلمات . تدربت على الصبر والصمت، تحليت بمتعة الإصغاء والمشاهدة والتواصل مع لحظة الوعى والإدراك . تجلت أمامى آية الظاهر والباطن وأن نكون فى اتجاه الحقيقة دائماً .

الفكرة الأولى للكتابة جاءت من هنا، كنت قد أقمت لى مكاناً فوق صخرة عالية ممتدة بين النهر والبحر "لسان رأس البر"، أحسست أنى فى بقعة كونية نادرة، أتوحد مع الكون، تتسق ذراتى وتكتمل لتبعث من جديد . أحس دائماً أمام المشهد الحى واللوحة النضيرة أنى فى حاجة لوجود أصدقاء وأحباء، تكتمل متعة المشاهدة بهم ويزداد الإحساس بالجمال والإبداع .

وكتبت إحساسى وخواطرى وحاجتى للمشاركة والوسع، أرسلت ما كتبت لجريدة المصرى، وفوجئت بالمقطوعة منشورة فى الصفحة الأخيرة وفى حيز متسع (صيف ١٩٤٨).

- كانت فرحتى الأولى ، وعلامة الطريق ، ونجمة الميناء لى ، وكانت خطوتى الأولى فى التمرد وعدم السماح للآخرين بالتفكير نيابة عنى.

وتابعتنى العيون المندهشة فى البيت والمدرسة والمدينة، كيف لم أستشر ولم أسأل أو آخذ إذناً وأين لفتاة شاحبة ناحلة مثلى هذه الجرأة على التعبير ؟

عرفت أن الكتابة حياتى ومصيرى (أصبحت الكتابة بالنسبة لى، هى التحرر والتحقق وإثبات الذات . والحب الذى يصلنى بالآخرين،

والمشاركة بين الخاص والعام . اكتشفت الكتابة وجدتها ووجدتنى اخترتها واختارتنى والكتابة لا تعطيك سرها ونبضها إلا إذا أعطيتها نفسك وحتى لا يتبقى لك منك شيئاً كما يقول ابن القيم فى المحبة . (تعطيها نفسك واستقامة قصدك) وأقمتها رسالة صدق ومحبة . التجربة الإبداعية تنبثق من الحياة ذاتها والفن وليد التجربة .

والكتابة الإبداعية تسمو بالروح والعقل تعم مجال الرؤية والمعرفة وتصبح شحنة خلاقة وقوة دافعة . النص الجيد هو الذى يبقى ويؤثر فى الناس ويضيفون به رصيدا إنسانياً وخبرة حياتية .

(عمرى يقاس بعدد الكلمـ ـات بالمقالات والقصص والنقد وكل ا أبثه على الورق) . فى الأيام الصعبة والعسيرة نتذكر الكتابة كطوق نجاة دائماً فى المحن والأحداث أتذكر ما سأكتبه القصة الرؤية ..

وبذلك يخف وقعها على وأحيلها إلى تجربة .

أحيا على وعد بالكتابة .

أعامل الكلمات مثل الموسيقى أغوص وراء المعنى . أكشف عن كنز مخبوء فيها أعيد اكتشافها تردد معناها وإيقاعها .. ودائماً العنوان لحظة الكشف والتنوير وتصاعد النغمة ..

أغنية للبحر قاموس البحر حاضرة البحر مزاد صعب مجنونة حاجز أمواج جياد البحر العايدة نجمة ميناء .

كلمة "اقرأ" كانت الحركة الأولى فى بيتنا .. كان صوت أبى جميلاً وهو يرتل القرآن الإيمان حصن أمان وقوة .

(أعرف أن أمامى مهمة صعبة وكبيرة . على أن أقرأ فى الأنفس والأفاق . وكنا نحلم بالتحرر والتقدم بحياة أنبل وأفضل لأهل مصر العظيمة .

وفى بداية التعليم الجامعى احتضنا مولد الثورة- قلت : هذه ثورتى .. (ودرنا فى رحى اللهب والجمر والاشتعال- تدرجنا على سلم الصراع والمد الثورى والجرح القومى ..)

وعندما قرأت فى مجلة روزاليوسف إعلانات عن مجلة جديدة "صباح الخير"؛ قلت هذه مجلتى- وبالفعل تدربت فى هذه الدار "العريقة .. وحضرت مولد مجلة جديدة- وميلاد فكر جديد وأسلوب للحياة فى مصر جديد .

كتابى الأول : بيت الطالبات- كان بالنسبة لى بمثابة قلعة لجيل جديد من البنات يحلمن بالمشاركة والبناء وصياغة مجتمع جديد .

بيت خاص فى قلب الوطن- كنت أناقش من خلال السرد فيه صيغة الحرية والمسئولية والتعامل مع الشباب "رصيد المستقبل" بالمحبة والتفاهم والاحترام المتبادل بدلاً من القسوة والتعنت .

وكانت "الهزيمة" ساحقة- روايتى جياد البحر أصور فيها رحلة سفينة تدور بين منارات البحر الأحمر فى مهمة حضارية وإنسانية ساطعة ليظل نور الفنار متقداً ، لتضىء طرقه السفن . وعلى متنها فريق مسرحى يقدم مسرحاً لعمال الموانى والفنارات .

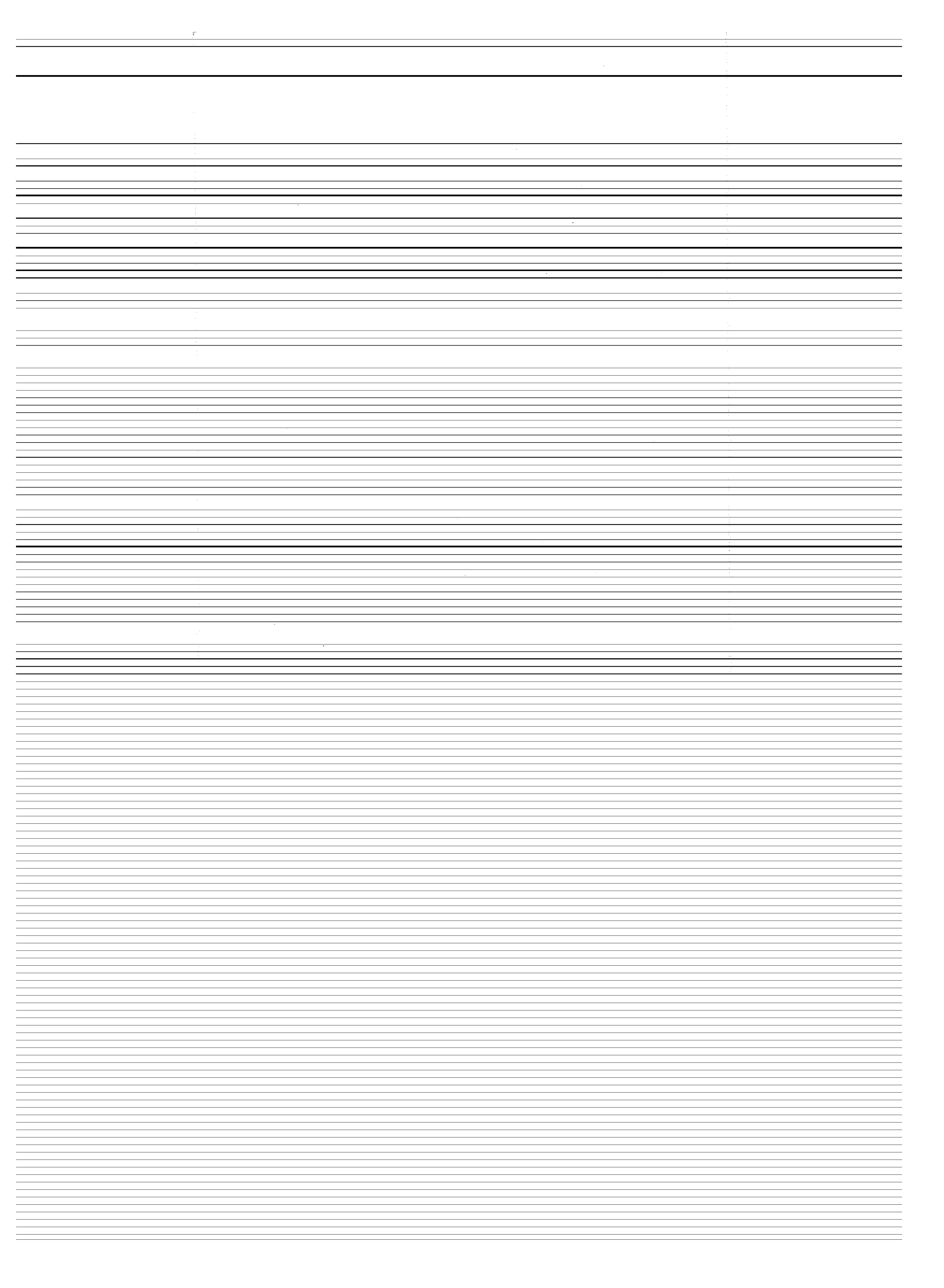
وتدور مسرحية جديدة على سطحها وتتشابك الأسباب- بعد ذلك تتلقى السفينة أمراً بالعودة فى بداية حزيران .. ومن خلال الأحداث والشخصيات والحوار تتكشف الأسباب للهزيمة .

وتجىء "حاجز أمواج" فى فترة إعداد الجيش وإعادة بنائه- وحرب الاستنزاف- "والسفينة " تحكى قصتها ورحلتها حتى العبور .

ويوماً ما انشق الأفق عن سفينة بيضاء وفارس فلاح بحار- حملتنى إلى الموانى والفنارات وألهمتنى رحلة حياتى وكتبى .

رسائل علمية

عن إبداعات فوزية مهران



المرأة والبحث عن الذات

فى "بيت الطالبات" لفوزية مهران نموذجاً

مها الحلوانى

تهدف الرسالة إلى رسم صورة صادقة لرحلة
كفاح المرأة وسعيها وراء تحقيق ذاتها واستقلالها
اجتماعياً وعاطفياً ، وعقلياً وحتى عنصرياً وهذا من
خلال الغوص فى أعماقها للتعرف على أدق
مشاعرها واكتشاف عالمها الخاص
بكل ما فيه من تناقضات .

وبمعنى آخر ، فإن الرسالة لا تركز فقط على توضيح كفاح المرأة
لتحسين وضعها فى المجتمع ومدى ما عانته فى ظل الظروف الخارجية
السائدة ، ولكن أيضاً وعلى الأخص ، تسبر غور المرأة وتصور ما
يكتنفها من صراع داخلي بين الحلم والحقيقة ، والواقع والخيال .

وقد قامت الرسالة ، لتحقيق أهدافها ، بتقديم ثلاث بطلات ينتمين إلى ثلاث مجتمعات مختلفة : المجتمع البريطاني والمجتمع الأفريقى ، والمجتمع العربى المصرى بالإشارة إلى رواية رحلـــة حج لدوروثى ريتشاردسون (١٩٧٩) ورواية مسألة قوة لبيس هيد (١٩٧٤) ، ورواية بيت الطالبات لفوزية مهـــــران (١٩٦١) كأعمال ممثلة للمجتمعات الثلاثة على التوالى . وقد تم اختيار هؤلاء الكاتبات لسببين : أولهما : لأن أعمالهن تحقق هدف الرسالة الرئيسى وهو التعرض لعالم المرأة الداخلى بكل انعكاساته وأهواءه وتناقضاته . وثانيهما : أن كلاً من هذه الأعمال يعد تعبيراً صادقاً للمجتمع الذى يمثله ، ومرآة تعكس أدق الظروف والعوامل المحيطة بالمرأة والتى بدورها ساهمت فى تحديد طبيعة سعيها لتحقيق الذات .

تنقسم الرسالة إلى أربعة فصول : يعد الفصل الأول الذى يحمل عنوان "ماذا عن الذات ؟" مقدمة للرسالة ومدخلاً لهيكل العمل . فهو يقدم الذات كعملية ذات شقين ، ويوضح تعدد جوانب ظلم المرأة وتبيانها فى ظل الظروف المؤثرة فى كل مجتمع من المجتمعات الثلاثة على حدة ، كما يعطى نبذة عن الكاتبات الثلاث اللاتى تتناولهن الدراسة ؛ الفصل الثانى: "عرائس على المسرح " يوضح كيفية تغير المفهوم الفكرى للحركة النسائية من مجتمع لآخر وفقاً للظروف السائدة فى كل مجتمع على حدة والتى تلعب دوراً مهماً فى تشكيل طبيعة كل مجتمع . أما الفصل الثالث، الذى يحمل عنوان "على شفا الحيرة " فيناقش مقدار ما قاسته البطلات من متاعب خلال رحلتهن الطويلة التى خيم عليها شبح الحيرة والمعاناة . أما الفصل الرابع "انطلاقاً من الشعور باللاشيء إلى تعريف الذات " فيعرض اختلاف رؤية كل من البطلات لمصطلح تعريف "الذات" إلى جانب استطاعتهن فى النهاية بالرغم من كل العقبات تحقيق هدفهن والتوصل لذواتهن .

يعد مقدمة العمل حيث يسلط الضوء على الطبيعة الثنائية لمفهوم الذات. فعلى أسس سيكولوجية ، فإن الذات هى الإنجاز الفردى والإحساس بالتفرد وعدم تغير طبيعة الفرد عبر الزمن "١" أما على الجانب الآخر فإن الذات لها أسس اجتماعية تنغمس فى المجتمع المحيط ، محدودة وملائمة للأوضاع الاجتماعية التى يعيشها الفرد. وبالتالى فإن تحقيق الذات يتطلب الإحساس بالتوازن بين الوحدة السيكولوجية للفرد من ناحية ، وتكامله الاجتماعى من ناحية أخرى.

كما أثار هذا الفصل سؤالاً طالما شغل تفكير كثير من النقاد والأدباء ألا وهو : هل هناك أدب نسائى ؟ أو بمعنى آخر : هل فن الأدب النسائى قاصر فقط على الأعمال التى تكتبها المرأة أم يمكن تطبيقه على أى عمل أدبى يكتب عن المرأة أو من أجلها سواء كان الكاتب رجلاً أو امرأة ؟. وقد أثار هذا السؤال الكثير من الجدل. فقد رفض البعض وجود أدب مختص بكتابات المرأة اعتماداً على الرأى بأن المقدرة الأدبية والإبداع الفنى ليس لهما جنس. وفقاً "لفرجينيا وولف" : يجب أن ينسى الكاتب الجنس الذى ينتمى إليه ويحاول أن يكتب من وجهة نظر محايدة : والأدب هو انعكاس لعلاقة الأديب بالمجتمع.

وفى الرواية المصرية بيت الطالبات ، نجد أيضاً بطلة أخرى تعانى صراعاً كبيراً ولكنها بالاختلاف عن نظيرتها السابقة ، ولا تكمن مشكلتها فى رفضها لطبيعتها كأنثى ، بل على العكس ، فهى أكدت تلك عندما شعرت بأهمية الرجل فى حياتها ، فهى حاملة للواء الحركة النسائية الليبرالية ، تؤمن بضرورة وجود توازن بين اعتقادها فى حرية المرأة من ناحية وبين احتياجاتها العاطفية من ناحية أخرى. ولذا فهى تعتقد أن الحب ليس عائقاً بل يعد دافعاً لتحقق حلمها. ولكن بعد ذلك اكتشفت أن هذا ليس صحيحاً ووجدت نفسها فى حيرة كبيرة بين حبيب أنانى حول أن يقمع آمالها فى استكمال تعليمها وبين إيمان شديد بذاتيتها.

وفى الرواية الأفريقية مسألة قوة ، تقع البطلة أيضاً فى حيرة كبيرة ولكن الحيرة هنا لها مفهوم أعمق وأشمل من حيرة البطلتين السابقتين وحيرتها ليست بحيرة شخصية بل انعكاس لحالة الحيرة التى انتابت وانتشرت فى ربوع الأمة بأكملها . فالأمة الأفريقية ، لكثرة ما تعرضت إليه من محن نتيجة للاحتلال الأجنبى الذى دام طويلاً ، وجدت نفسها فى مفترق طرق لعدم وجود ثقافة موحدة تضم تحت رايتها الشعب بأكمله . وتتمثل تلك الأزمات بوضوح فى حيرة البطلة بخصوص ذاتها فهى تعرف من هى أو إلى مجتمع تنتمى لكونها بيضاء فى المظهر ولكنها روحانياً تنتمى إلى مجتمع السود ، وللهروب من تلك الحيرة ، قررت البطلة المناداة بحقوق . قضية واحدة تفرض نفسها التفرقة العنصرية ولذا أصبحت قضية المرأة جزءاً من قضية الأمة وكفاحها لنيل حقوقها. وفى رواية بيت الطالبات نجد البطلة تبحث عن ذاتها وعلى عكس نظيرتها حاولت أن تحقق نوعاً من التوازن بين حريتها كفرد فى المجتمع الذى تعيش فيه من ناحية وبين حريتها الداخلية سواء الفكرية أو العاطفية ، فقد استطاعت البطلة بإصرارها على استكمال تعليمها من أجل تحقيق الاستقلال المادى، أن تتغلب على كل ما واجهته من صعاب ، سواء كانت هذه الصعاب فقراً مدقعاً ، أو أباً ظالماً ، أو حبيباً أنانياً . وعلى عكس بطلة رحلة حج ، البطلة هنا لا تخشى الاختلاط بالآخرين خاصة الرجال ، فهى لم تتذكر أيضاً طبيعتها كأنثى وخاصة احتياجها لوجود رجل فى حياتها بل تعتقد فى كون الحب قيمة إنسانية سامية ودافعاً لها من أجل تحقيق أهدافها ولكن وبالرغم من ذلك ، عندما وضعت فى موضع اختيار بين حبها وهدفها، رفضت وبشراسة الحب الذى قد يعوق مسيرتها نحو تحقيق الذات ،فقد رفضت أن تتخلى عن أحلامها فى سبيل إرضاء رغبة حبيب أنانى يريد أن يتسيد عليها ويحتكر فكرها بأكمله . وبهذا استطاعت أن تتخلص من ضعفها وتملك زمام أمرها وتحقق استقلالها العاطفى والفكرى بجانب استقلالها المادى والاجتماعى .

نساء تحت المراقبة فى قصص "بيت الطالبات"

د. فدوى كمال عبد الرحمن

تتعرض النساء منذ قديم الأزل للعديد من
أشكال الضغوط من المجتمع الذكورى وأحد أشكال
الضغوط يتمثل فى النظرة الفاحصة التى هى إحدى
علامات القوة وإحدى وسائل التحكم والسيطرة سواء
كانت هذه النظرة بغرض المراقبة أم كانت ذات
غرض شهوانى بحت .

وتدور مجموعة بيت الطالبات لفوزية مهران حول واقع الاغتراب الذى تعيشه بعض البنات فى مواجهة ألوان مختلفة من القهر تهدف إلى حبسهن فى أطر ضيقة من الأدوار والنماذج التى لا يستطعن أن يتعدينها .

وتصور القصص كيفية فقدان المرأة لذاتيتها وتحويلها إلى "موضوع للرؤية" بحيث تُرى ولا ترى. وتبدو القصص كما لو كانت تجسيداً لنظريات ميشيل فوكو حول النظام العقابى فى القرن التاسع عشر بإنجلترا حيث يلفت فوكو أنظارنا إلى تلك الفترة من تاريخ القمع التى بات من الواضح فيها أن الطريقة الأكثر كفاءة للتحكم فى المحكوم عليهم بعقوبة جنائية هى وضعهم تحت الملاحظة الدائمة بحيث يكون هناك برج للمراقبة به مجموعة من الحراس يمكنهم من خلال وضعهم هذا أن يروا كل صغيرة وكبيرة فى المكان بأسره وبذلك يفقد السجناء أى إحساس دائم بالخصوصية أو الفردية ويضمن هذا الوضع الغرض التلقائى للنظام نتيجة إحساس السجناء الدائم بأنهم تحت المراقبة .

ومن هذا المنطلق يبدو بيت الطالبات كما لو كان سجناً من هذا النوع وتساعد فوزية مهران على إعطاء هذا الانطباع للقارئ بداية من مقدمة الكتاب التى تصف فيه البيت بأنه "أشبه بثكنة عسكرية راقية للفتيات" وتأتى آمال- وهى الشخصية المحورية فى القصص- من بيت ذى "حجرات ضيقة مغلقة" يفرض فيه الأب "نظاماً قاسياً (....) ولقد سره كثيراً أن وجد الحياة فى هذا البيت صورة مشابهة تماماً لبيته هناك .. ونظامه الصارم يطابق فلسفته فى الحياة .. عمل .. ومذاكرة ثم يغلق علينا الباب الخارجى بقفل حديدى كبير فى الثامنة مساء وحتى الشجرة العالية أمام النافذة "تقف كالحارس أمام بيت الطالبات" . أما أبله نعيمة فهى حريصة على مراقبة الفتيات مراقبة لصيقة . فآمال تحكى للقارئ عن يومها الأول فى البيت قائلة: "وجاءت المشرفة تستقبلنى وتتفحص ملابسى وحقائبى .. لعلها تدرك أى نوع من البنات أكون وأسهل الطرق لمعاملتى .. واسترحت عندما ابتعدت عنها ، وإن كنت أحس بوقع نظراتها تتساقط

على ظهرى .." وتشكو آمال فى موضع آخر من أن " عيون المشرفة الملحة المتسائلة تزعجنى وتجعلنى أكاد أهرب من الحياة " ودائماً ما نرى أبله نعيمة تتلصص على الفتيات فبينما كن مثلاً فى الصالة الداخلية الكبيرة يرفهن عن أنفسهن بالاستماع إلى الراديو أو اللعب على البيانو ، نجدها "تسرع (...) إلى نهاية الممر وتقف لترقب بحذر وتربص" . وتعتمد أبله نعيمة أساساً فى تلصصها على برج المراقبة الخاص بها حيث نراها " وهى فى طريقها إلى حجرة مكتبها لتطل على البنات من وراء الشباك كعادتها" ولكنها بالإضافة لذلك تعتمد على مجموعة من الجواسيس الذين يساعدونها فى مراقبة الفتيات و عى أخبارهن ومنهم حسن الجناينى والخادمة العجوز.

وبالرغم من أن هذه الشخصية المسيطرة المتحكمة هى فى النهاية شخصية نسائية إلا أن واقع الأمر يشير إلى أن بعض النساء يتمسكن بمبادئ المجتمع الذكورى ويكن أكثر حزماً وقسوة فى تطبيقها من بعض الرجال . وبالإضافة لذلك فإن شخصية أبله نعيمة شخصية قاسية وحقودة بطبيعتها حتى إنها تذكرنا فى قسوتها وجبروتها بالشخصية النمطية لزوجة الأب كما فى حكاية سندريلا وتجسد دور سندريلا فى "بيت الطالبات" الخادمة الشابة وجيدة التى تعانى من قسوة أبله نعيمة حيث ترغمها تلك الأخيرة على تنظيف الأرضية مرة بعد أخرى وهى تتأملها "بتلذذ ثم تقول لها : أهو كل يوم حامسحك البلاط كده ولو لنص الليل لغاية ما تتعلمى النظافة " وحين نما إلى علمها أن وجيدة تخطط للزواج يزداد غضبها وحقدها عليها حيث تقول للخادمة العجوز : "ناس همج .. يبقوا مش لاقيين يأكلوا ويتجوزا لولا إنى عارفة أنها تروح تعلمها على طول .. كنت طردتها من بدرى .. " وتتبدى قسوة قلبها جلية واضحة فى

موقفها من آمال التى تعجز عن تدبير مصروفات بيت الطالبات فتأخذ أبله نعيمة فى مضايقتها فى ذهابها وإيابها مطالبة إياها بسداد المصروفات المتأخرة وهنا تبرز دلالة استخدام فوزية مهران لكلمة "متشف" فى وصفها لصوت أبله نعيمة فى حوارها مع آمال حول النقود . وتزداد قسوتها وضوحاً حين تعلم بالزواج المزمع بين عادل وسعاد حيث "تلقى أبله نعيمة بالدفتر فى عصبية وتقول: بنات قليلة الأدب .. لسة الواحدة مطلعتش من البيضة وتفكر فى الجواز .. ده جيل فظيع .. جيل مجنون (تتحسر)يا عينى علينا إحنا الواحدة كانت تتكسف تبص فى المراية " وتجد أبله نعيمة فرصتها حين تأتى إليها والدة عادل لتسأل عن سعاد فتسارع فى تسديد سهامها المسمومة وتهمس فى آذان الوالدة قائلة : "كان صعبان على عادل ابنك قوى .. ده لسه صغير وساذج ودى أكيد طمعانة فيه .. " وحين يأتى الوقت لإبلاغ سعاد بالأنباء السيئة فإنها لا تكتفى بصدم الفتاة فى مشاعرها ولكنها تزيف الحقيقة وتدعى أن "أم عادل جت هنا بنفسها وطلبت منى انى أمنعك عن ابنها عادل .. وكانت عايزه تعمل فضيحة " وحينما تبكى سعاد لا يرقق ذلك من قلبها بل يشجعها على المضى قدماً فى تجريحها فتقول لها : " عمر ده ما حصل .. بقى لى تمنتاشر سنة فى البيت ده .. عمر ما حد عمل كده . لازم أدى خبر للجامعة .. وأنا متأسفة إذا كنت مضطرة لأخذ إجراء عشان أحمى البنات التانية " . ونتيجة لذلك الموقف المتعنت تحاول سعاد الانتحار وهنا تبدأ فتيات البيت فى مهاجمة أبله نعيمة فى محاولة لجعلها تدفع ثمن ما اقترفته و "يواجهنها بنظرات الاتهام والاحتقار" . وفى آخر مشهد من قصة "المسافة" نرى أبله نعيمة وقد آوت إلى حجرتها وهى "كاسفة البال .. محطمة .. حيث تواجهها الستارة الداكنة البالية التى تحجب شباكها وتحجب عنها النور .. تمسك برأسها وتنهار

على أحد المقاعد " وهنا لا تخفى على القارئ الدلالة الرمزية للستارة ولانعدام النور فى الحجرة وللنهاية المشينة لأبله نعيمة كأحد رموز الرجعية الذكورية .

وبالرغم من أهمية دور المرأة فى إخضاع أختها المرأة لأحكام المجتمع الذكورى يبقى الرجل هو المسيطر الحقيقي فى عالم الطالبات . وتجسد آمال معاناة المرأة نتيجة لنظرة الرجل الفاحصة بدءاً من والدها الرجل المتزمت الذى "لا يرى الحياة إلا جهاداً وعملاً فقط" ويبدو ذلك واضحاً حينما تطلب الأم قميص نوم لابنتها فيصرخ فيها الأب متهماً إياها بالجنون " يعنى إيه قميص نوم ، دى قلة أدب " فتتدخل آمال موضحة أنها لا تحتاج أكثر من جلابية بسيطة لتنام فيها . وشخصية آمال كما نراها فى بداية الكتاب شخصية خاضعة بشكل تام لمتطلبات المجتمع المتمثل فى الأب حيث تؤكد : " كنت أفعل كل ما يريد . وأكثر مما يفرض على " حتى إنها أثناء بقائها فى القاهرة كانت لا تزال تشعر بعيون الوالد ترقب أفعالها . فإحساسها بتلك النظرة تلاحقها أصبح جزءاً من شخصيتها يتحكم فيها ويلون تصرفاتها وأحكامها . نرى آمال دائماً فى ثياب سوداء لا تغيرها وتحكم على بقية البنات تبعاً لملابسهن ومدى احترامهن للقواعد والتقاليد التى غرسها فيها الأب فتعلن صراحة أنه " حتى سعاد ماتعجبنيش .. واحدة بتلبس بالشكل ده .. والألوان الفاقعة دى مش ممكن تكون عواطفها جادة" ولا تحاول أن تتعرف إلى دوافعهن وشخصياتهن الحقيقية . ولكن حين يجيء دورها لتجرب هذه العواطف بنفسها تجد نفسها وقد انتقلت من خانة المراقب إلى خانة المراقب وهنا تبدأ فى الندم على مواقفها السابقة تجاه سعاد وغيرها. فحينما تذهب إلى أحمد فى بيته تتساءل فيما بينها وبين نفسها " ماذا لو رأتها إحدى الزميلات .. آه لو رأتها

واحدة وهى تخطو بقدمها عتبة البيت .. وتعود إلى البنات بالخبر المثير وتلتفت حولها الأعين الفضولية .. وتلوك الألسنة التى لا ترحم" . وعندها أيضاً تقرر أن تغير من اللون الأسود الذى باتت تصفه باللون "الكئيب" وأن تلبس ألواناً أكثر إشراقاً وبهجة وهى بهذا التغيير فى الألوان تغير من نظرتها للحياة وتتمكن من تحرير نفسها من القيود التى فرضتها عليها نظرة الأب . ولكن النظرة الفاحصة للمرأة لا تكون بغرض المراقبة فقط ولكن بغرض شهوانى أيضاً . وكما ترى لورا ملفى فى مقالها الشهير "المتعة البصرية والسينما"فإن عدم المساواة بين الرجل والمرأة تجعل المتعة البصرية من نصيب الرجل على حساب امرأة التى تتحول إلى فرجة لهذا الرجل صاحب القدرة على النظر . ويتمثل ذلك فى "بيت الطالبات" فى حسن الجناينى وعلى "الجار الخالد" وهما دليل حى على أن النظرة الشهوانية هى نوع آخر من أنواع القهر الجنسى الذى يجسد أنانية الرجل وتحكمه فى المرأة. فحياة على تتمركز فى البلكونة التى تمكنه من الفرجة على كافة نزيلات الدار : " حياة الشاب المعلقة بالفراندا المواجهة تماماً لشباكها .. إنه يأكل ويقرأ .. ويشرب الشاى .. ويعيش حياته كلها من خلال النظر إلى البنات حتى عندما كان خاله الكبير يزور العائلة ويضطر إلى أداء الصلاة خلفه كان يصلى وظهره فى البلكون .. المهم ألا يغيب لحظة عن ذلك العالم العجيب الذى يفتنه والذى يريد أن يلعب فيه الدور الأول فى كل القصص والأحلام " وهو يولى النزيلة الجديدة اهتمامه ويجعلها تظن أن كل " ما يفعله من أجلها وعذاب الليالى وبقاؤه فى الشرفة إنما لجذب انتباهها " فتبدأ المسكينة فى الشعور بأن حبها قد ملك عليه قلبه" : " شعور رائع بالفوز وسط مجتمع النساء .. وتبدأ تبادله الاهتمام " ، عندها يزهد فيها ويبدأ فى النظر إلى شباك آخر وطالبة

أخرى .. ويبدو هذا مطابقاً للطبيعة الشاذة للإنسان الذى يجد متعة فى اختلاس النظر إلى السيدات حيث يجب أن تظل السيدة على مسافة معقولة منه ليست بعيدة للغاية ولكن أيضاً ليست قريبة وسهلة المنال . أما المثال الثانى لهذا النوع من النظر هو حسن الجناينى الذى يبقى الرجل الوحيد داخل عالم النساء المسمى بيت الطالبات . وبينما تتحرك الفتيات بحرية فى البيت بحسبان أنهن فى أمان من نظرات الرجال الدخيلة ، يجدن عيون حسن تتابعهن فى كل ركن من أركان البيت فلقد كان " من ذلك الصنف من الرجال الذى تشعر بوقاحة نظراته وعبثها حتى لو كان مغمض العينين .. كانت نظراته تتلوى على ظهور البنات وتتفحصها " . فعلى سبيل المثال تنظر سعاد من الشباك فتجده "بجانب السور فى مواجهة البيت .. وكان يخفى رأسه داخل جريدة .. ثم يتطلع من حين لآخر إلى الشباك العلوى حيث تقف سعاد فى قميص نوم عار .. تغلق النافذة بعنف وتستدير قائلة لآمال التى لا تزال مستلقية (...) الواحد مش عارف يستريح فى البيت ده .. يهرب من نظرات أبله نعيمة يطلع لنا زفت حسن الجناينى كمان" . وحتى وجيدة الخادمة ليست بمنأى من عينيه . فبعد أن تأخذ من شعبان الحذاء الذى أصلحه يشبك طرف ثوبها فى مسمار ويمزق من أعلى ساقها .. تصطدم باندفاعها بحسن الجناينى الذى كان يتأملها من مدة .. ويتطلع إلى ساقيها " وتعلن وجيدة لاحقاً : أنا بكرهه .. ونفسى أخزق عينه .. أصل بصته وحشه قوى .. دايماً ألم هدومى على كل ما يبص لى "

وتخصص الكاتبة قصة مستقلة من قصص المجموعة لبيان تأثير وجود حسن على الفتيات وذلك فى قصة "الصرخة" وتبدأ القصة "بصرخة الطالبات فى منتصف الليل .. تبعتها صرخات حتى اشتعلت الأدوار الثلاثة

كلها بالصراخ .. والحناجر تطلق آهات الفزع والخوف يتبعها اسم حسن الجناينى " وحينما تلفت أبلة نعيمه أنظارهن إلى أن حسن قد غادر البيت بعد المغرب ، يعتذرن فى خجل بأنه قد يكون كابوس ولكن "الصمت الذى ران فجأة على بيت الطالبات كان كله يهمس باسم حسن .. ولماذا حسن الجناينى بالذات ؟" وتعطينا نظريات علم النفس مفتاح اللغز حيث إن الفتيات يخلعن على حسن رغباتهن المكبوتة بصفته الرجل الوحيد بالبيت حيث يؤدى الكبت الذى يعانينه إلى انتقال بعض الرغبات من الشعور إلى اللاشعور وتظل هذا الرغبات تلح حتى تظهر فى شكل أحلام اليقظة كما حدث فى هذه القصة . ومما يعضد هذا التفسير أن هذا الموقف حدث فى حجرة سعاد بعد أن كانت الفتيات يتكلمن فى الزواج وشؤونه وما فيه . ولكن من المؤكد أيضاً أن خوف الفتيات المرضى من حسن يرجع إلى أن التهديد بالاغتصاب الذى يمثله حسن هو ذو علاقة وثيقة بنظراته الشهوانية لهن حيث إن النظرة نوع من الاعتداء الجنسى لا يختلف كثيراً فى دوافعه عن الاغتصاب البدنى .

وفى مواجهة عوامل القهر هذه تجد آمال أن الوسيلة الوحيدة التى تستطيع بها أن تحقق ذاتها هى الكتابة فتعترف قائلة : " وذات يوم .. فى وقفة لى على شاطئ البحر .. على صخرة بعيدة تذكرت تجربة التعبير الأولى .. وكنت ساعتها أحس بوحدة قاتلة .. بأمواج تتصاعد من قلبى ويتصاعد دخانها مشبعاً بالحيرة والقلق إلى رأسى .. وجلست أعبر عن هذه المشاعر الثائرة .. وعدت أحتضن الورقة والقلم وكأننى حققت عملاً عظيماً . ووجدت صديقاً لى فى هذا العالم الكبير (...) وتعودت أن أكتب كلما أحسست بحاجة إلى التعبير .. كلما هربت إلى نفسى أتأمل قسوة أبى وضعف أمى .. وذلك العدد الهائل من البنات أمثالى ". وهنا نرى أن

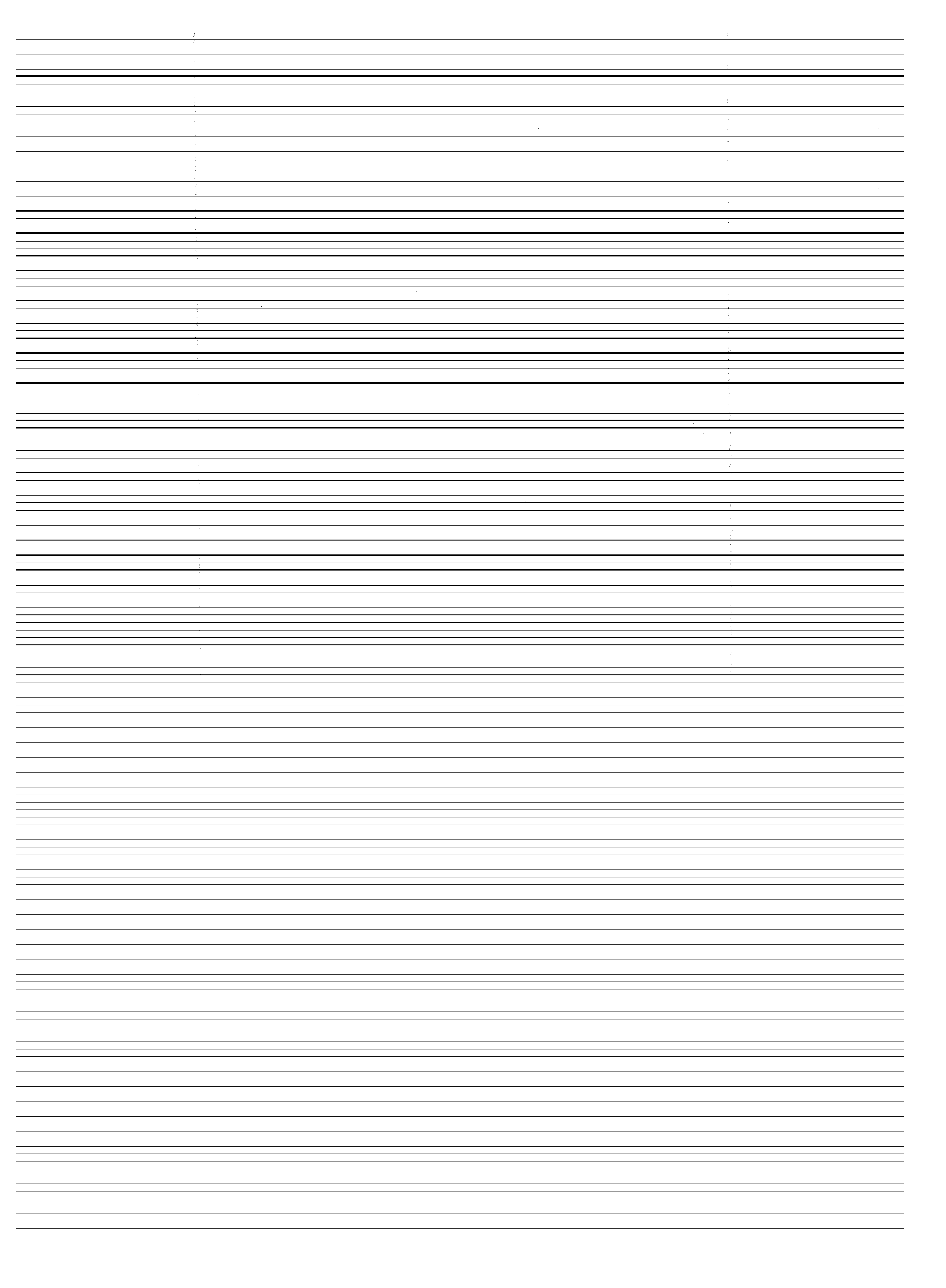
كتابات آمال تعبر بصدق عن تجربة المرأة وذلك من خلال وجهة نظر نسائية . وتنبع وجهة النظر هذه من قناعة تامة بحقوق المرأة وبوجوب تغيير نهاية القصة التى كتبها الأديب أحمد عزمى لأن تلك القصة تعمد إلى إدانة الحب والتشكيك فى المشاعر الأنثوية . وحينما تضعها الظروف فى موضع الاختيار بين الاستمرار فى الكتابة والدخول فى الإطار التقليدى الذى رسمه لها المجتمع من خلال الزواج فإنها لا تتردد فى اختيار الكتابة . ولكن الكاتبة فوزية مهران تتراجع فى اللحظة الأخيرة عن جعل بطلتها تخوض تجربة الاستغناء عن الرجل بدلاً من ذلك تقرر أن تحقق السعادة لآمال على المستويين الشخصى والمهنى معاً فتجعلها تتزوج ممن تحب مع استمرارها فى المهنة التى تعشقها. وتمثل قصة آمال بالنسبة للكاتبة قصة المرأة المصرية فى الستينيات من القرن الماضى فهى قصة الحقوق التى تم اكتسابها والكفاح للحصول على مزيد من هذه الحقوق . وتوضح مهران من خلال بطلتها أن الخلاص الحقيقي للمرأة يكون من خلال التأكيد على طبيعتها الأندروجينية التى تأبى التعريف الضيق للأنثى وما يمكن أن تفعله أو أن تكونه . فعلى النقيض من آمال نجد سعاد التى تركز على أمور الحب والزواج وتهمل دراستها قائلة : " أد أيه الحب جميل .. والراحة أجمل .. حد طايل يتجوز ويستريح من الغلب " هنا نجد أن الكاتبة حريصة على بيان النتيجة الكارثية لمثل هذا النمط من التفكير من خلال مصير سعاد الذى ينتهى بها الحال إلى فقدان الشاب الذى تحبه وتقريباً فقدان حياتها بعد محاولتها الانتحار . إلا أن سعاد تتعلم الدرس بعد أن يتم إنقاذها فتعيد حساباتها وتقول آمال : " عايزة الكتب .. أنا لازم أنجح .. كنت ناسية حاجات كتير " .

ومن هنا نجد أن هذه المجموعة القصصية دعوة صريحة لتحرير المرأة.

والحل الذى تقترحه الكاتبة لتحقيق هذا الغرض يكمن فى التعليم الذى يؤدى إلى الاستقلال الاقتصادى للمرأة . وتمثل وجيدة وجهة نظر فوزية مهران حين تؤكد أن "طبعاً التعليم .. يخلق الواحدة .. تتعلم وتشتغل بمكسبها تبقى ست روحها .. ماحدش يقدر يتحكم فيها .. لما تحب تتجوز تبقى تختار راجل .. وتبقى مش مذلولة ليه لأنه بيأكلها " وتأتى فوزية مهران بذلك فى طليعة الكاتبات الموهوبات المهمومات بقضايا وطنهن واللاتى كان لهن أكبر الأثر فى دعوة المجتمع إلى تغيير نظريته للمرأة والعمل على تمكينها من حقوقها وهى الدعوة التى صارت سياسة تتبناها الدولة بكافة مؤسساتها كنتيجة لجهود الكثيرات ومن بينهن فوزية مهران .

مقالات

عن إبداعات فوزية مهران



بنت البحر .. وبنت الشاطئ

سهام بيومى

صدرت الطبعة الأولى من كتاب "بيت الطالبات"
وسجلت فيه الكاتبة أحداثاً عاشتها عام ١٩٥١
أثناء إقامتها فى بيت للطالبات المغتربات
أثناء دراستها الجامعية .

ولأنها كما تقول "وجدتنى أعبر عن نفسى بالكتابة" تعبر بالكلمات عن مشاعر وأحداث ورؤى ومواقف تستعيد معها مشاعرها عند إعادة قراءتها . فقد حرصت الكاتبة الصحفية والأديبة فوزية مهران أن تدون مذكراتها فى تلك الفترة لتصورها بعد ذلك فى الكتاب .

وهى لا تقدم فى الكتاب طرائف ومواقف مجردة وإنما من خلال الواقع اليومى الذى عاشته وسط زميلاتها استطاعت برؤيتها الواسعة أن تجسد مرحلة من حياة المجتمع بكل مفرداتها ، مرحلة حبلى بالتغيرات والأحلام ، وكان حريق القاهرة الذى شهدته فى السنة الأولى لالتحاقها بالبيت شرارة الانطلاق لهذه المرحلة.

هذه الفتاة التى تنتمى إلى أسرة ريفية بسيطة وجاءت للقاهرة يسبقها حلم الالتحاق بالجامعة كانت خطواتها تسابق الواقع نحو الحلم ، تتكشف أمامها آفاق أوسع وتنتهى دراستها وهى تخطو بثبات فى ميدان الصحافة ، وتدرك من البداية أن دماء جديدة كانت تتدفق فى شريان الصحافة ، ليست انسياقاً أو انبهاراً بما هو قائم، ولكن تحمل رؤى جديدة مغايرة ووعياً يستطيع أن يميز فى البداية بين الزائف والجوهرى من خلال النماذج المثيرة للإبهار فى ميدان الصحافة .

بيت الطالبات الذى كان مقراً لإحدى أميرات الأسرة المالكة تبرعت به لفتيات الجامعة المغتربات .. وكانت بالشرفة راهبة فرنسية هى ابنة خالة السيدة سوزان طه حسين مات حبيبها الملاح فى الحرب فقررت دخول الدير حتى أقنعتها السيدة سوزان أن تأتى لمصر لتقوم بالإشراف على هؤلاء الفتيات اللاتى يخطون أولى خطواتهن فى ميدان التعليم الجامعى محملات بالأحلام والآمال ، وكأنما الحب الذى تختزنه لحبيبها الراحل أصبح حباً كونياً يفيض منها على كل من حولها .

لم تدر فوزية مهران وقتها أن القدر نسج خيوطاً ليربط بينها وبين تلك الشرفة ، وأنها بعد سنوات ستفقد هى أيضاً ملاحها القبطان الشهير، ليصبح نبع الحب الذى أودعه قلبها يفيض على كل من حولها

ويفقد ذلك الرباط الأبدى بينها وبين البحر ، وتصور مجموعاتها القصصية "أغنية للبحر- جياد البحر- حاجز أمواج" .

الفصل الأخير فى الكتاب بعنوان أغنية للبحر ، وتروى فيه عندما انقطع التيار الكهربائى عن البيت أيام الامتحانات فسادت حالة من الذعر بين البنات فقالت لهن المشرفة هيا نغنى يا بنات بدلاً من الاستسلام للقلق والاضطراب فنخذل أنفسنا وعندما يعود النور تكون الصحة قد تسربت إلينا وأصابنا الوهن والانكسار" ، ولقد راهنت فوزية مهران دائماً فى كتاباتها على المستقبل فالفصل الأخير الذى يمثل أفقاً جديداً هو عنوان مجموعتها التالية التى أصدرتها بعد ذلك "أغنية البحر" والبحر لديها يعنى الحلم والجرأة والاقتحام والمغامرة والحب .. مفردات البحر هى مفردات الحلم ، وانتظار الحبيب الشهيد ليس اقتحام المستحيل ، ولكن الحلم ينتقل من اللاوعى إلى الوعى ومن المستحيل إلى الممكن عندما يحل مفردات الواقع لينقل بها من الأفق المحدود إلى الأفق الأرحب؛ لذا ليس من المستغرب فى رهان فوزية مهران على المستقبل ارتباطها بالأجيال الشابة والتالية من المبدعين ، وتلك الفرحة التى تشع منها عندما تتناول أعمالهم .

من المصادفة أيضاً أننى قرأت فى سلسلة مكتبة والأسرة كتاب د.عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ "صور من عرفت" وهى أيضاً تجربة عن بيوت الطالبات والأقسام الداخلية فى المدارس ، لكن فى فترة سابقة عندما خرجت بالفتيات من الحريم إلى الجامعة كما تقول وسط تقاليد قاسية ، عقد اجتماعى جائر ، فمقابل السماح لهن بالتعليم والوظيفة حرم عليهن الزواج والحب وقام المجتمع بأكمله بوأد تلك الطليعة من صفوة الفتيات المتطلعات نحو التعليم والمشاركة فى العمل باغتيال إنسانيتهن

ومشاعرهن وتحويلهن إلى كائنات مشوهة أورثن العملية التعليمية للفتيات ميراثاً مشوهاً باهظاً ، إذ كيف يمكن لمن سلبها المجتمع مشاعرها وإنسانيتها أن تجعل أجيالاً جديدة يحببن الحياة ويقبلن عليها ، لقد قدمت د. بنت الشاطئ هؤلاء الفتيات والنساء ضحايا لهذا الواقع وفريسة للخداع الاجتماعى للرجل ومادة للنميمة والفضول، رغم ذلك فقد تبنت هى فى أحيان كثيرة تأكيد أنها لم تبرح الحدود المسموح بها ولم تقترب من البحر ولم يبتل حتى أصبع قدمها ، والفتى المخادع اللعوب فى كتابها الذى غرر بالفتيات هو محل أضحوكة وسخرية البنات فى بيت الطالبات .. وأبله نعيمة التى تنتمى لعالم فتيات بنت الشاطئ والتى تحاول إعادة إنتاج القهر الذى تعرضت لها فى ممارسته على الفتيات تمثل السلطة الدكتاتورية والفقر الإنسانى .

فرق كبير بين عالمين وفرق بين البحر وبنت الشاطئ .

فوزية مهران وأغنية البحر

د. مصطفى الرزاز

تتنازع الفنان ثلاثة عوامل :

الرغبة فى التوصيل- السيطرة على الصناعة اللغوية-

التحليق والتجلى ، والنزاع له مغزى فلا مفر من إلحاح

أحد تلك العوامل وتحرشه بالعوامل الأخرى

فتتضح المعانى على حساب أحكام الصياغة أو تتحقق الأخيرة بصورة محكمة التوازن البنيوى فتقوض التحليق وتتوثق بخط الأرض فتصاب بالبرود والجفاف ويهجرها الفن ، وقد تحلق وتتوهج وتتخطى قيود الإيضاح وضغوط الصنعة فتصبح أقرب إلى تعبيرات الفصاميين والأطفال منها إلى الفن.

هـذه قضية ملغمة إذ يستحيل فيها وضع وصفة أو تعميم مضمون ، إنها (نفس الطبخة) للذى يطهو دون الرجوع إلى الكتاب ، فقد تتوازن العوامل الثلاثة المتنازعة ويكون النتاج بارداً كأمثلة الإسناد الجامعة المانعة ولكنها لا تدعو إلى الضحك أو الأسى أو الإشفاق أو إلى الذهاب فيما وراءها والتأويل الإبداعى ، إنها قاطعة واضحة المعالم ولكنها بالقطع ليست من الفن فى شيء .

إن الفروق الواسعة فى التكوين الثقافى للمبدعين بما فى ذلك مزاج وسجية كل منهم تفتح آفاقا للتأثير والتنوع فى تناول تلك العوامل والتأليف بينها بصورة تبادلية شديدة الحساسية .

النقطة الثانية فى هذا الأمر تكمن فى أن العاملين الأول والثانى بطبيعتهما قضية إرادية واعية تعتمد على المعلوماتية والمهارات المكتسبة . أما العامل الثالث فيدخل فى تشكيله حتما لا إرادية باطنية تنتعش فى لحظات الإلهام والتجلى .

والفنان هو القادر على استدعاء هذه الطاقة الجوانية للاوعى والتشابك معها تارة ، والذوبان فيها تارة أخرى ، فيصاب بحمى الغيبوبة المؤقتة التى تتولد منها الأفكار المارقة والصياغات المباغتة والعلاقات غير المتوقعة وهى علامات التحليق والتجلى .

كأنها هبطت من جيل أقدم .

جيل المرأة المصرية الحكيمة العارفة فى تواضع والتى تؤمن بأن المشاعر سابقة على المعارف .

وطنية تجسدت فيها سمات الشخصية المصرية التى نراها فى تماثيل الفراعنة العظام، سماحة وشموخ .

فى صمتها عمق مكنون وعمقها شارد فى مواجهة (الحال المايل) شخصية لها هذه السمات ، وبذلك الصمت هذا ما يفصح عنه ظاهرها فى الملتقيات الثقافية والوطنية ولكن أعماقها تجلت لى عندما قرأت كتابها "أغنية البحر" فى طبعته الأولى والذى تقدم فيه تجربة أربعين عاماً مع القصة القصيرة من ١٩٥٤- ١٩٩٤ فى الكتاب دليل على صمت البحر والعويل الصادر من قواقعه عندما تلقمها آذاننا ، خرق الماء ، هدير موج ، افتراس دوامة ، وفيه دليل على الأفق الواسع والحوار فيه كالأمواج آتية فى أنساق على أطرافها الترق الأبيض وفى جذورها القوة القاهرة .

يتميز الكتاب بانسياب المشاعر فى لغة جميلة ، وتتخللها مقولات فلسفية وعبارات حكيمة ، تتداخل وتتراكم وتتصارع عناصر متباينة فى السعى لتحقيق الوحدة والتجانس .

إيقاع الكتابة بتعدد الطبقات ينقل نبض المبدع إلى نبض القارئ فى جرعات مباشرة أو تكاد وهو كالفن الحديث لا يعطى إجابات بقدر طرح علامات استفهام ومثيرات للتحليق .

البحر- الأفق- رائحة اليود ، يختلطون مع ذكرى الغائبين ، بتذكر أحداث بريئة وعابرة وإعادة صياغتها بشكل يوتوبى كإعادة ترميز الماضى فى شريط مرتد ، يسجل كل إيماءة وكل انقطاع سكونى ، كل لقطة تحيل إلى حكمة لم نلتفت إليها ، وانسابت من بين أصابعنا التى تواصل النبض على حجر الواقع .

وفوزية مهران تملك ضمن ملكاتها قدرة استثنائية على الاختزال فى تصوير أحداث محورية فى ومضة شديدة الدلالة مزدحمة التفاصيل غير المكتوبة .

وفى قصة البحر تتحدث عن نفسها بصيغة ضمير الغائب وفى شخصية (نور) الأم الحكيمة التى تقول : المهم فى الإنسان "جوانيته" ورأيت أن يشاركنى القارئ تأمل بعض عباراتها الحكيمة التى وضعت نصوصها القصصية :

- نحن نقرأ الشعر لنحسن فى أسلوب العمل .
- البناء الخالى من الروح لا يثمر أفراحا أو يقيم أودنا .
- الصوت يصفو والمعدة خالية .
- ونحن إذ نبنى المجتمع .. نبنى أنفسنا ..

من معجزة حلقها أنها تبلغ "الرشد" ساعة أن تولد ..

(أستعين بالشعر على الحياة)

"دعونا ننصت للموسيقى داخلنا"

إن الإنسان لا يستطيع أن يختار أمه ولا وطنه .. يمكنه أن يصنع نفسه ليكون جديرا بهما . عندما ندعو للأحباء ننسبهم لأمهاتهم .

للبحر أغنيتان

الحـــب والمـــوت

مايسة زكى

يبدو أن مملكة البحار قد آلت إلى الكاتبة فوزية مهـــران بصدور مجموعتها القصصية الأخيرة : "أغنية للبحـــر" بعد ثلاثيتها الروائية : "جياد البحر" و "حاجز أمواج" وعلى الداخل إلى المملكة أن يستأذن الملكة .

من قاموس البحر ، وهو عنوان إحدى القصص ، ذلك التعبير الذى عثرت عليه فى أحد الكتب القديمة ، ويعنى : قمة الحكمة ، تتألق مفردات وإيقاعات وصور بحرية ، تمثل معظم قاموس اللغة الخاصة لدى الكاتبة ، حتى إنها لا تقول : .. أحمل صليبى فوق ظهرى " وإنما تقول "قوقعتى أحملها فوق ظهرى ، أحمل فيها همى" .

ومن "حلم البحر" القصة الأولى فى المجموعة ينطلق كائنان أسطوريان على الصخرة النائية التى كانت تجلس عليها وهى بعد طفلة : المدينة التى بنتها بنفسها يوماً ما ، والبحار الذى يحمل مفتاح المدينة ، ومعهما على امتداد القصص تتطابق الكاتبة وتتماهى فى أحدهما كجانبى القوقعة فى قصة (الكنز) التى تنهى بها المجموعة : " ملتصقة الجانبين ، يطبقان بقوة على نواة داخلية أو حبة كامنة" .

هذه القصة بداية ذاك الشوق الممض المجنون الذى ينتاب البطلة فى قصتى : "المجنونة" و "حاجز أمواج" عندما تنادى على المدينة ، إذ تفرض عليها العزلة وتحرم من (ذاتها) لتبقى النافذة الحدود المفتوحة الممكنة بينها وبين الناس فى مدينتها . كذلك تؤسس القصة الأولى لذلك البحار الأسطورى الذى يحتل مساحات البطولة فى معظم القصص . وإن غيرت الكاتبة مهنته ، فهو طيار يعانق السماء ! وهو وإن عاد ليفك أسر المدينة بعد طول هجرة واستعداد فى "مهاجر فوق الماء " فإنه يبدو كشهريار معاصر تحاول شهرزاد - الكاتبة - أن تشغله عن همومه وعزلته بـ "حكاياتها المستحيلة" ، لا عن هاجس الخيانة الذى يطارده وبحر الدم الذى أنشأه فى قصص ألف ليلة .

وإذا علمنا أن فوزية مهران كاتبة شاركت فى أوج ازدهار مجلتى "صباح الخير" و "روز اليوسف" وامتلأت بروح العمل الثورى ، ثم فرض عليها الصمت والعزلة أحياناً من الدهر ، وكابدت محنة المصريين جميعاً عام ١٩٦٧ ، وكيف أنها تزوجت بالفعل بحاراً ماهراً حيل بينه وبين

سفينته العسكرية ومهماته البحرية ، تبين لنا قدرة الكاتبة على تحويل لحظات خاطفة من حياتها إلى أيقونات لغوية مراوغة البناء لا مجرد خواطر رومانسية هشة ، وتخترق بنفاذ حسها الصوفى المتناقضات إلى جوهرها فتجده واحداً صافياً .

ففى قصة "على الشاطئ القديم" تجتمع سفينة نوح وحوت يونس والراهب الذى يتلقى الاعتراف والمعبد الفرعونى فى بوتقة واحدة . وبقدر ما تحتفل بطقس الاعتراف وحاجتها إليه والرحلة التى تكبدتها من أجله ، فإنها تحر الزواج من يسوع الذى أتت إليه معتزلة إلى زفاف لحبيب من الأرض بكل أشجانها يباركه الرب . ولا تستغرق تلك الشحنة التى تستوعب مختلف العوالم ، وتحدث تلك المفارقة أكثر من أربع صفحات صغيرة لاهثة.

وبرغم الإيقاعات القرآنية والاقتباسات التى تنهل منها الكاتبة فإنها تتيه بالأنوثة والدلال فى أدبها على قلة استخدامها للوصف البدنى الصريح، إنما يتخذ لديها الحب والوصال أسلوب التخاطب أو التخاطر عن بعد ، ولا تتورع بدعابتها الماكرة فى قصة "لغة خاصة" عن أن تحيل القارئ إلى المسلم يذكر الشهادة إذا جاءه الموت عندما ينطلق الرجل المصرى بلغة فرنسية كلمة .. "أحبك" لحبيبته بعد عشرين عاماً من اللقاء الأول وهو على فراش الموت ، يحدوها نفس مبدأ الجوهر الواحد .

فى هذه القصة تقول من فرط دهشتها من توقيت التصريح واللغة الأجنبية التى اختارها : "ربما الإنسان أمام لحظته الحقيقية .. توهج الحب أو الموت .. يعود نقياً ملهماً .. تتجلى قدرته .. يقرأ .. يصير ناطقاً ".

وعلينا أن نعى أهمية هذا المفهوم لدى الكاتبة حتى نستوعب قصة "حفرة العمل" إذ لا يعى الملاحظ الشاب فساد أسلوب عمله مع الجماعة المسئولة عن توصيل خطوط التليفون والكابلات ليتواصل الناس ، إلا فى ذلك اليوم الوحيد الذى يداعب الحب قلبه بعد أيام رتيبة طويلة يقوم فيها بنفس المهمة.

أما الموت فحضوره طاغ فى هذه المجموعة حتى إن أكثر من سبع قصص تسجل لحظة الموت أو اللقاء الأخير ، مما يهبط بالأغنية- أغنية البحر- من الصد بميلاد الحفيد "مزداد" فى إحدى القص ص والذى يعود بروح الجد البحار إلى الحياة ، إلى قرار "المياه الخطرة" العميقة- عنوان آخر مجموعة- لتتحول إلى مرثية مأساوية نبيلة تنمو على استحياء ، حتى نصل إلى القصة الأخيرة "الكنز" فإذا بها تلقى بقوقعتها وسر عمرها فى البحر ، لا تستأمن عليها أحدا كما استأمنتها أمها عليها من قبل.

وكأن هذا الجيل يودع سره البحر أو ترجعه هى إلى البحار الذى سبقها إلى الرحيل . ينقطع التواصل والاتصال على الأرض ، الذى هو غاية الكاتبة وسرها الفنى ومفهومها عن الحياة . وتولى وجهها شطر البحر لا "نجمة الميناء".

عالم فوزية مهران الروائى

عبد الغنى داود

قدمت الكاتبة الروائية فوزية مهران ،
روايتين ترتبطان معا ارتباطا حميما فى الجو
والمشاعر والشخصيات ويتواليان فى الزمان وإن اختلفا
فى المكان . فروايتها الأولى "جياد البحر"
١٩٨٧ المكونة من ستة فصول.

ليست رواية تقليدية تعنى بالأحداث والشخصيات من الخارج .. بل
تركز على العالم الباطنى لأبطالها والتفاصيل الداخلية ، ومدى ارتباطهم
وفنائهم الداخلى فى عالمهم المحيط وهو البحر "..

البحر الجميل .. حيث الموج يمد بنا إلى المبدئ المعيد "البحر العميق .. والمحيط القاموس .. " فوق سفينة فى مياه البحر فى مايو .. وفى بداية صيف ١٩٦٧ .. هذه السفينة التى تحوى دفئاً وحنانا وشحنة حب متصل وتحمل الزاد والماء لمن اعتزلوا حياتنا . ومهمتهم الإبقاء على نور الفنارات بازغاً .. ليهدى السفن المارة من بعيد .

ومن يبحثون عن مرفأ وميناء أو معادن بأرضنا الصعبة الوعرة . وهى مهمة إنسانية غالية . وتحدد حياة البحارة حركة هذه السفينة .. أما من فى الفنارات فقد علمهم انتظارها الشوق والصبر والجميل .

وفى هذه المرة حمل السفينة فريقاً مسرحياً وخليطاً من المفكرين والسياسيين ... (.. تخطر فى بحر العرب الدامى .. وأسنة شعابه المرجانية تلتمع بنذر الخطر . فريق المثقفين يمثل أمة العرب من فلسطين ومن الجزائر ومن مصر .. يدور بينهم حوار .. تتأجج أحاديث الفن والسياسة .. دوامة العذاب لا تنتهى .. الأحداث تبحر بين الماضى والحاضر .. تشق طرقاتها تحتدم .. تستبق كجياد البحر البيضاء وجياد البحر تغنى قطع المخمل البيضاء المكونة من تدافع الأمواج وتدور بينهم على متن السفينة مسرحية جديدة وحقيقية وموحية .. تتداخل أحداث المسرحيتين معا . يقول الريان .. (زياد) .. (البحر يبنى الرجال .. قبطان السفينة .. الذى تنبهر به الرواية (نور) .. تبهرها قوة شخصيته وحساسيته للخطر وتقديره للأمور واتزانه وخبرته ونضجه الإنسانى .

وتلتقى .. الراوية بمأمور فنار (الأخوين) ..ولربما تعمدت الكاتبة ألا تذكر اسمه عن عمد .. فالأسماء هنا لا ضرورة لها لأنها تهتم بجوهر الشخصية وهو عالمنا الباطنى وكذلك ستفعل مع شخصية العامل الذى يرش الطريق بالماء فى روايتها الثانية .. هذا المأمور الذى يعشق زوجته

لكنه لا يطيق الحياة معها فى الإسكندرية فيهرب منها إلى جزيرة الفنار النائية .. لكنه لا يستطيع الحياة بدونها فيواصل كتابة الرسائل إليها يبثها أشواقه .. وعندما يعود إليها فى إجازة يفر من الأستاذ ومن الريان (زياد) : ألا يتخلى البحار أبداً عن مركبه وأن يكون على استعداد دائماً ، (وألا يأخذك شيء على غرة .. أو يدعك فى غمرة ، أو تكون لحظة من الغافلين) . وتنقطع رحلتهم ويعودون إلى السويس ، و(بلال) يشعر أن هناك ضيفاً ملتهباً .. إذ يأتى حزيران ١٩٦٧ حزيناً خانقاً .

إن محاولة تلخيص هذه الرواية هو نوع من التعسف .. لأن اللمسة القرآنية التى تتغلغل بين ثناياها تقودنا إلى رؤية كونية تحتوى الأحداث والشخصيات . فالكاتبة تحاول إعطاء مجموعة من الانطباعات المتوالية المستقلة بعضها عن بعض .. فى إطار جو البحر والعلاقة الحميمة بين القبطان والبحر ودرجة القوة والعمق بينهم وبين عالم البحر. وتهمل الكتابة .. إلى حد ما .. جاذبية الحكى والتواصل إلى كشف تفاصيل غموض الأحداث وتعنى بولالة تفتيت السرد إلى وحدات تتقاطع وتتداخل بطريقة مركبة ، وكثيراً ما تتوقف الكتابة عن السرد عند نقطة لتنتقل إلى تأمل فى التجربة الشعورية واللاشعورية للبطلة الراوية نور ، وهى كثيراً ما تستأنف السرد من نقطة بعيدة إلى حد ما عن النقطة التى كانت قد توقفت عندها . وأحياناً ما يعترض جمل السرد جمل خبرية تقريرية أقرب إلى التعليقات الصحفية التى تفسر جماليات الأسلوب الروائى .

والمكان الروائى هنا هو البحر . فوق ظهر سفينة تجوب موانئ وفنارات البحر الأحمر . وهنا نجد أكثر شخصيات الرواية جاذبية وهو القبطان أو الريان (زياد) لأنه يفهم أسرار البحر ، ويكشف ألغازه ويعرف كيف يسبح

فـى أمواجـه العاتـيـة . أمـا الـزمان فـى الـرواية فمحـدود بعـدد الأيـام والليـالي والساعات والدقـائق مـن شـهر مـايو ١٩٦٧- وهـى الأيـام الـتى تسـبق الـذكـريات الأليمة لـهـزيمة يونيو- لكنـه زمـان ممتـد فـى عمـق وعـى هـؤلاء البشـر. ونلاحظ أن الكـتابة هـنـا تجمـع فـى هـذه الـرواية- كمـا فـى روايـتها الثانـيـة "حاجـز أمـواج" بـين أكـثـر مـن مسـتوى قصصـى . فالمسـتوى الواقعـى تمـثله حكايـات (مـأمور فنـار الأخويـن) وفـريق المـمثلين وعـلـى رأسـهم الممـثلة (أمـل) ، والمسـتوى الأسطورى الـذى يجسـده الـريان زيـاد والأسـتاذ الدكـتور زهـران اللـذان يؤمـنان بـأن (لابـد لـرحلة أن تسـتمر مهمـا حـدث .. ولا نعـرض سـفينتنا أبـداً (للعطـب) وكذلـك (الأعـرابى عجـوز) الـذى ينشـق الـبحر فجـأة عـنه . والعـالم الـذى يحيط بضـريح ولى الله أحمـد بنـاس .. ويـتراوح اسـتخدام اللغـة- هـنا كـمـا سـبق أن قلنـا- بـين المـزج بـين لغـة القـص الـتقريرية والتعليقات الصـحفية ولغـة الشـعر المجازية . وإن كانـت قـد تخلصـت إلى حـد كـبير من اللغة التقـريرية والتعليقات الصـحفية فـى روايتها الثانية "حاجـز أمـواج" وهـى هنـا تقـدم شـخصيات أغلبها من المثقفين سـواء كـانوا كـتابا أو سياسـيين أو فـنانين .. ومـن المـمكـن أن نطـلق عليهم طبقة الصـفوة .. لكننـا مـن خـلال رحلة الرواية نلمس أن الريان ذا الخبرة الوجوديـة والثقافيـة الكونيـة الـتى وهبـتها لـه الطبيعة والفطـرة السـليمة أكـثر تـأثيراً وعمقـاً مـن هـؤلاء الذيـن يسـتمدون ثقافـتهم مـن بطـون الكـتب .. أو الذيـن تبهرهـم الشـعارات الـبراقة .. لـذا يكـمن جوهـر الـرواية فـى معانقة الوجـود الـذى لا بـد أن تسـتمر رحلتـه مهمـا حـدث وألا نعـرض كـينونة وجودنا للعطب فنقع فـى الوجـود السـاقط حـتى ولـو لم تـتحقق ذواتـنا المفـتونة بمـا تـراه ، يخـدعهـا ظاهـر العـالم الحسـى عـن إدارك حقيقـته ومصـيره المحـتوم ففـى تخلـى (الفـرقة) عـن عـرض المسـرحية نـوع مـن دفـن الـنفس فـى أرض الخمـول .. حيـث يـتوقفـون عـن عـرض مسـرحية ذواتهـم .. فقـد أدركـوا أنـه لا ينبت نبات من الأرض إلا إذا دفـن وانغمر..

وفى روايتها الثانية والأخيرة " حاجز أمواج " ١٩٨٨ تستكمل فوزية مهران تجربتها الخاصة التى تناولتها فى روايتها الأولى "جياد البحر" .. لكنها هنا تترك البحر وتستقر على أرض اليابسة .. تعود إلى رحم الأرض .. أرض قرية سندبيس فى أرض مصر .. فى فترة تلت هزيمة ١٩٦٧ وبدأت فيها حرب الاستنزاف . فى هذه الرواية يكون الربان (زياد) قد تزوج الراوية (نور) المؤلفة .. وينزل الربان من فوق سفينته ويحال إلى الاستيداع ، ويصطحب معه زوجته (نور) لتتعرف على أمه (خالدة) الشخصية الأسطورية المعطاءة التى تحيط الجميع بحبها وحنانها .. ويكون قد سبقهما إلى قرية سندبيس فريق عمل من الأصدقـ غلبهم ممن كانوا على ظهر السفينة فى رواية "أجياد البحر" .. يستعدون لتصوير فيلم سينمائى عن البناء والتعمير أعدت قصته (نور) وتقوم ببطولته صديقتها الممثلة (أمل) التى خرجت من المعتقل منذ فترة ومعها زوجها الفلسطينى المخرج (بلال) وشقيقه الأصغر ومساعده (معين) ، والممثلة الشابة (منى) ، والنجم السينمائى (عادل عبد الرحمن)

يلفت نظر الراوية (نور) رجل يرش طريق العربات الترابى بالماء .. كأنه من معالم القرية .. يدور فى حركة دائبة لساعات .. وهو بلا اسم .. تماماً مثل (مأمور فنار الأخوين) .. وكأنه عملهما العظيم والمغمور فى نفس الوقت .. أكبر من أن يكون لهما اسم .. (فهو يملأ الدلو من الترعة .. ويسكبه .. وتحسب أن الملل بعد قليل يقعده .. أو يفتر أو تخور همته) وتكتشف أن (الصبر حاجز أمواج لنا) و (حاجز الأمواج) هو كما يقول الربان زياد جدار من الحجارة والصخر .. حتى تتكسر لديه الأمواج وتصل إلى الشط خفيفة لطيفة .. مهدهدة يمرح فوقها الأطفال ، وتهتف (الراوية) لنفسها متمنية لو تشغل حاجز أمواج من اللحم البشرى

(حاجز أمواج من الجسد الحى .. ليس سدا من الصخر والحجر .. كيان إنسان مرهف الحس والعصب .. تتكسر الأمواج لديها ولا تدعها تنفذ أبداً ، تحطم ضلوعها.. تفتت عظامها.. تدمى نشيج الحشا .. وتظل صامتة).

وتستعرض الرواية علاقات الحب بين (منى) الممثلة الشابة و (عادل عبد الوهاب) النجم السينمائى الذى يمثل دور المهندس المنعزل فى القرية وكيف أنه يغار من (معين) مساعد المخرج وشقيقه الأصغر لأن (منى) تستلطفه وهو متعلق بها .. لكن معين الشاعر الفلسطينى الذى هاجر من دياره مع شقيقه بلال لا ينتظر إلا يوم العودة إلى فلسطين .

ونتعرف على شخصية (الدكتور عزمى) المسئول الكبير فى السلطة والذى كان يحب (أمل) لكنه تنكر لها عندما تم اعتقالها وعاد دون جدوى ليجد حبه فتصده (أمل) .. ومن المهم أيضاً أن نتعرف على أحداث الفيلم الذى يصورونه فى القرية .. إذ يدور حول مهندس انطوائى لا يختلط بالناس ، ويحب (مدرسة القرية) التى تعيده إلى الاندماج مع الناس .. فالفكرة الأساسية للفيلم هى إظهار كيف تلتحم القرية أمام الفاجعة .. وتتوحد بالألم والغضب والثورة من أجل شهيدها .. هذا الذى تشاركهم التمثيل فى الفيلم أمه (ماما سكينة) .. التى كانت ممثلة كبيرة اعتزلت التمثيل منذ استشهاد ولدها فى هزيمة ٦٧ وتصاب بالخرس من جراء الصدمة .. لكنها توافق على المشاركة فى التمثيل .. على أن تؤدى دورها صامتة .. لا تنبس بحرف .

ويتذكر الربان (زياد) ماذا كان يقول لبحارته : (.. عندما يكبر علينا البحر ويشتد .. تكون أشد على أنفسنا من البحر علينا .. معنى ذلك أننا نستدعى القوة والصلابة والعزم . طبيعة الحدة والعنف .. كل ذلك للمواجهة وبعدها نعود إلى طبيعتنا .. السماحة والمرح "اللين والحنان" وقد يغنى البعض .. أو يكتبون الشعر .. المهم هو الالتحاق والقدرة على المواجهة

.. واكتشاف النفس فى كل الحالات وعندما تلتحم المجموعة تكتشف (الراوية) أن صداقتهم (حاجز أمواج متين لهم .. يصد عنهم غائلة المحن وغدر الأمواج الطاغية .. ويسند ظهورهم)، ويتذكرون أستاذهم الدكتور زهران وأقواله عن الفن وغاية الفنان الذى يسعى لمعرفة إنسان آخر .. وفهم طبيعته وعالمه الداخلى .. هذا الفهم يقوى صيغة التفاهم عنهم .. ويتعرفون فى بيت (الأم الخالدة) على (فريدة) الفلاحة الصامدة التى لا تكف عن العمل ، والذى توفى زوجها ابن عم الريان زياد فعاشت لتربى أولادها .

ويأتى نبأ استشهاد (خالد) الشقيق الأصغر للريان زياد فى حرب الاستنزاف . وتكون الفاجعة فى الحقيقة وليست الفيلم فقط . وتلبس القرية كلها (السواد) ويأتى الجميع لتعزية (الأم خالدة) فى ولدها الشهيد. ويتحامل (زياد) على نفسه .. فالريان لا يترك مركبه أبداً .. لا يتركها للعطب .. يدافع عنها حتى النفس الأخير .. يفضل أن يغوص معها .. بعد إنقاذ الجميع . وتقترح (أمل)أن يقيموا مدرسة باسم الشهيد ..

وتنشأ قصة حب جديدة بين (عايدة) ابنة (فريدة) التى تدرس فى الجامعة والتى عادت إلى القرية فى مأتم الشهيد (خالد) و(معين) الذى يفتح لها قلبه وينشد لها أشعاره ، ويروى معاناته كفلسطينى مشرد بين المخيمات وصمود شعبه . ويعود النجم (عادل) الذى كان غائباً أثناء الفاجعة ، وتلومه (منى) وتطلب منه - إن كان يحبها حقاً - أن يقوم بعمل نافع له معنى ، ويقرران الانضمام إلى المجموع والعمل معهم فقد اكتشفا أن تفكير هذه المجموعة وسلوكها شيء واحد . ويأتي (رجل الماء) ليعزى (الأم خالدة) ، ويلقى بحكمته أن (العمل باق ولا ينتهى) ، وتكشف (نور) أن الرجل البسيط هو حاجز أمواج لنا .. فقد منح الرجل نفسه وقدمها هدية لهم ، إذ يقول : (إنسان يولد ويعود .. يقصر أجله أو يعمر فى الأرض .. لا بد من الرجوع ويبقى العمل قائماً .. حاضراً .. وشاهداً) وتنهض (ماما سكينة) من رقدتها وتنطق ، وتذهب إلى (الأم الخالدة) لتواسيها وتقف بجانبها.

وتنتهى الرواية بتصوير غلام صغير يرش الطريق الترابى بالماء بدلاً من الرجل العجوز .. ثم يمسك فى يده فسيلة نخلة ويزرعها فى الأرض ويسقيها من ماء القلة ..

والرواية كما نرى لا تعنى تماما مثل سابقتها "جياد البحر" بتفاصيل الأجزاء الخارجية للحياة ، بالأشياء المحيطة .. فالروايتان تشغلان نفسيهما بجوهر الحياة وبأرواح البشر المتباينة وغير المحددة .. لا بالمنازل ، أو العوالم المثالية أو أحوال المصانع . وفوزية مهران فى الروايتين تسعى لتسجيل الانطباعات العديدة التى يتلقاها الشعور ، وتحاول عن طريقها تصوير اللحظة الحية التى تعيشها شخصياتها بانتقاء دقيق بما يؤدى إلى تناول مساحات صغيرة من التجارب الإنسانية .. وهى مهمته بالكشف عن اهتزازات ذلك اللهب الباطنى إلى أقصى حد .. الذى يومض بالأشياء فى حد ذاتها لكنها تهتم بشيء خارج الرواية .. شيء ميتافيزيقي يتعلق بروح الإنسان .. شيء أكثر اتساعاً فى الرؤية وأعمق فى الدلالة .. مستخدمة التصوير المتقطع، والغمض أحياناً ، والشظوى .

إن الروايتين تعدان رواية واحدة .. ويبدو إن الكاتبة قد تستكملهما بعمل ثالث ورابع من نفس العالم الذى تتميز به الروائية فوزية مهران .. فالشخصيات فى الروايتين واحدة ، وتيار الوعى متواصل و(الرواية) (نور) كما هى ما زالت شخصيات الرواية الأولى تشارك فى أحـداث الرواية الثانية ..

ونتعرف على ملامح شخصيات لها تأثيرها وسحرها مثل (الأم خالدة) التى تكاد تصبح أمنا مصر بالعطاء والحكمة ، والأرملة مزيدة الصامتة والصامدة والمبتسمة دائماً . رغم الجهد الخارق الذى تقوم به فى خدمة الجميع، و(رجل الماء) رمز العمل وبقاء الأثر ، و (ماما سكينة) التى تتجاوز فجيعة فقد ابنها الشهيد لتصبح هى أيضاً حاجز أمواج يخفف لولدها الشاب فى حرب الاستنزاف .

فالروايتان ذات عالم واحد .. وإن اختلف المكان .. وتوالى الزمان.

شاعريـة السـرد

د. علاء عبد الـهادى

"فنار الأخوين" هى المجموعة القصصية
الجديدة للأديبة والناقدة فوزية مهران . للعنوان دلالة
مهمة فى أعمال الكاتبة إذ غالباً ما ترتبط
مجموعاتها المختلفة بدال مركزى يشير إلى البحر .

هـذا المسـكون مثله فـى ذلـك مثل الإنسـان بـالعمق والاضطـرام ، بـالهدوء والقسـوة ، ببلاغة الموج فـى انتحـاره الدائم ورعشة البدايات التى لا تتوقف عن الإشراق . يجـد اللونـين ، الأبيض والأسـود ومـا بينهما مـن حكمـة وتنوع ، مـا بين الأخوين من قرابة فى الدم وافتراق فى الكينونة . فـى فنـار الأخويـن القصـة الـتى اختـارتها اسمـاً لـلمجموعة يبـتدئ السـرد بأسلوب أقرب إلى الشعر فى عوالمه ولغته دون أن يفقد القصة خصائصها "بـدا البحر مثل حقل المرجان . الشمس سـاطعة والـمياه تموج بلون العقيق القديم . لزجة . ثقيلة ، مراوغة .

".. فعلى السفينة قائدان تجمع بينهما المنافسة، فهل للمؤامرة فى هذا الجو مكان ؟ كيف ؟ "وعلاقة متينة وغريبة تربط بينهما فكل منهما مشدود للآخر .. بحبل سري !" ... "ورباط بينهما أقوى من صلة الدم". يباغتنا السرد فى هذه القصة جاذباً الذكريات إلى سطح النص عبر وعى الراوى بدخيلة القائدين وممتداً بالواقع إلى السيرة، وعلى الرغم من المنافسة بينهما، فإن إحداهما يوكل الآخر فى التحقيق قائلاً " لا شك أنك يا جلال قبطان بحسك البحرى والإنسانى ستكتشف من وضع قضيب الحديد فى البوصلة " فهناك من حاول أن يفقد السفينة اتجاهها .. هذا الاتجاه الذى لم يفقده الصديقان على الرغم من المنافسة بينهما، هكذا تبادلا التحية "والتمعت العيون بالثقة" ، وتنتهى القصة بالثقة على الرغم من أن ما حدث كان كفيلاً بجذب الحبكة إلى نهاية أسهل .. أن يتهم أحدهما الآخر ، لتفاجئنا الكاتبة بأن هذه المشكلة كانت فناراً يجمعهما، لا حادثة تفقدهما الاتجاه.

تمنح فوزية فى قصص المجموعة برغم الاختزال والمسكوت عنه كل شخصية مبرراتها ، وكأنها بعنوان المجموعة تؤكد أن للنقيضين اجتمعا فى الحياة ، أو تباعدا فناراً واحداً ، كما تشير بطرف خفى إلى أن الثنائيات التى نظنها متقاربة قد تكون متباعدة أيضاً وإن جمع أعينها دليل واحد هكذا تأتى قصص المجموعة واحدة تلو الأخرى ، دالة ومثيرة للأسئلة، وفى لمسات سريعة بفرشاة تحمل من التأمل ما تحمله من التعبير، تقدم لنا فوزية مهران رؤيتها تجاه واقع تختاره وترتبه بيديها كما يختار محب لأحبائه ورواد المائدة ، لنستمتع بعمل يراوح بين السرد الشعرى والسرد القصصى دون أن يفقد خصوصيته على مستوى النوع ، أو نفقد استمتاعنا بعوالمه على مستوى التلقى. تذكرنا بعض قصص هذه المجموعة بتشيخوف وشخصياته التى تثير التساؤلات أكثر مما تمنح الإجابات ، حيث تكشف فوزية فى هذه المجموعة جدلاً بين القرائن مثله فى ذلك مثل جدل الأضداد ، مشيدة دهشتها بقلم يبدو هادئاً على الرغم من اضطرامه ، قاسياً على الرغم من رومانسيته، وفى عبارات سريعة التنقل قصيرة وموحية ، مقطعة لا تنشد الاكتمال مثل هذا المسكون بالأمواج الذى يخافه المرء حيناً ويطمئن إليه أحياناً ، تبدأ المجموعة وتنتهى كتابة محملة بالرومانسية ، ومفعمة بالأمل فيمن نحبهم .. فى ربيع ما سنشهد فصاحته قريباً ، وفى صداقة ما قادمة ..

فنـــار الأخويــن

هشام السلاموني

في مجموعتها القصصية الجديدة "فنار الأخوين"
تتخلص فوزية مهران من الغموض "الجميل" من براعة
الصنعة ، من الجوانية المعطاءة ، وكانوا ديدنها
في روايتها "حاجز الأمواج" ومجموعتها
القصصية "أغنية البحر" .

تتخلص من جميل، تستمسك بجميل لتفاجئنا بوضوح باهر ، وبحكي
بريء عفوي أخاذ ، وكشف سلس للأعماق بعيدة الغور ، كأنما عادت
بنا سيرتها الأولى في روايتها "البكرية" الحميمة "بيت الطالبات" ..

وفى مجموعتها الأخيرة لا تتخلص فوزية مهران من "البحر" من التلذذ بالغرق ولا أقول الغوص ، فأنت تستطيع بالغوص أن تلتقط بعض جواهر الأعماق ، لكنك بالغرق وحده قادر على أن تستحوذ وتمتلك إلى الأبد كل ما فى البحر من در لا يتخفى ومن أصداف لو فتحت وهبت اللآلىء .

ولا تتخلص من قبطانها شهى الحنان .شجيه .. ذلك الذى يتربع شامخاً فى اطمئنان ، ويمشى فارعاً كجذع السنديان ، وينطق بما قلت كلماته وتضخم تأثيرها كحكيم الزمان .

ولا تتخلص من اختصارها المذهل ، من التركيز والتكثيف بل والتقطير ، لا تتخلص من موسيقى جملها القصيرة الصادحة .وقفلاتها الشرقية الحراقة .

لا تتخلص من "شعرية الصياغة" ومن "شاعرية الرؤية" تلكما اللتان لا تعوزانها فى الرقة والحرقة ، فى الرفق والحنق ، فى الهدأة والحمأة ، تصاحبانها مهما اختلف الواقع النفسى لأبطالهما ، ومهما تنوع الحدث المروى.

لا تتخلص من القلم الأنثى (ليس "الأنثوى" أو "النسائى" المتعارف عليهما الآن !!) ومن الكلمات الدافئة الحنون المشحونة برحيق لبن الأم .

ولا تتخلص فوزية مهران (ولا تستطيع) من الكتابة بالإنسان ، وليس الكاتبة عن الإنسان .. والفارق بين الكتابتين واسع ومخيف (ومن يكتبون بالإنسان فى أدبنا العربى قليل) .

هكذا يكون الأدب العظيم

الأديب الكبير ، والأديب العظيم لا يكتب أيهما إلا عما يعرفه. الكتابة شيء والتأليف كما اصطلحنا على كنهه شيء آخر.

الكتابة ارتحال تأملى فيما عشناه وفيما تعايشنا معه ، ارتحال بقصد المعرفة (بعد أن تم التعرف عيشاً أو تعايشاً) ، الكتابة ممارسة للتفكير فى لحظة الخلق الفعلى (وليس قبلها) والتفكير أثناء الكتابة تفكير حسى ، ولا يشبه التفكير العلمى (لا سبب ونتيجة فى الكتابة ، ولا تجربة ومشاهدة واستنتاج) ، الكتابة فعل جدلى لا نستطيع أن نحصر العوامل التى تتداخل وتتدخل فى هذا الفعل ، لكنها بالتأكيد - هذه العوامل والعناصر المستعصية على الحصر والتفهم - تصنع الحدث الخالق وتصنع منتوجه المكتوب .

ولا تخرج الكتابة عن تجربتين ، تجربة معيشة ، أو تم التعايش معها فى آخرين (ولا أقول معهم) نستدعيها ونستعيدها ، ونعيد إنتاجها ، ليس كما حدثت بالضبط ، ولكن بما تضيفه لها عملية الخلق من معرفة لم تكن لدينا ولم نكن نتصور أننا واصلون إليها ، أو هى - الكتابة - تجربة متخيلة، نحاول فيها الإجابة عن سؤال يبدأ بـ "ماذا لو "، والتخيل ليس ابتعاداً عما نعرف ، عما عشناه وتعايشنا فيه ومعه . إن ما عشناه وتعايشنا فيه ومعه هو العناصر التى تمكننا من التحليق، هى معراجنا أو وسيلتنا للمعراج إلى آفاق الخيال الرحيب .

فى الحالتين، حالتى التجربة المستعادة والتجربة المتخيلة لا تكون المخرجات على قدر المدخلات ، إن التفاعل الجدلى ، يجعل المخرجات شيئاً أكبر بكثير ، بل فى أغلب الأحيان يصبح من المستحيل إرجاعها إلى مدخلاتنـــــــــا. الكتابة فعل يغير ما بدأنا به .. ويغيرنا .. إذ يجعلنا - كخلاقين - أكثر معرفة .

هل كانت السطور الفائتة ضرورية لنقول إن فوزية مهران - خصوصاً فى مجموعتها الجديدة "فنار الأخوين" تلجأ بعد أمل طويل - للتفكير

الحدسى فى تجاربها المستعادة تلك التى عاشتها وتعايشت فيها داخل الآخرين فى محاولة- دءوب- لتتفهمهم .

نعم كان ضرورياً ، وإلا اعتبرنا خلقها الفنى- كما توحى به بعض القصص- مجرد ذكريات ، إنها الذكريات فى بوتقة الخلق التى حيث تتغير ، تصعيداً فى سماء المعرفة ، تغير الكاتبة وتغيرنا- أن نكون جميعاً أكثر فهماً وتفهماً لكلية الوجود ، وتفاصيل حياة البشر- فى لحظة التلقى.

فى البدء كانت الشعرية

تعالوا نقرأ إهداء فوزية مهران لكتابها ، وتعالوا نتدخل فيه لنتعرف ليس على أساليبها اللغوية فحسب ، ولكن لنتعرف عليها وعلينا فى كتابتها ، تعالوا نقرأ الإهداء ولنجعل نحن تدخلنا بين قوسين .

"ضوء المنار غاب عنا (يعذبنا الغياب جميعاً) هوى إلى البحر قلبى (وأصبح البحر هوى) تناثر الرذاذ دموعاً قانية (تناثر وقد اختلط الماء بالدم من جرح غائر بالطعنة الهوجاء) تلقاه تحت الماء فوق راحته نور خفيض ، شع بين الحروف والذكريات (نور لا يراه سوى الغرقى عاشقى الأعماق ، الباحثين عن الأمان المفتقد فى حضن المعرفة المطمئن) أشرقت الشمس من جديد .. أحلم بك (يا قائد السفينة بين مرافىء الأمان الدفيئة) بالربيع والأصدقاء .. بلادى أحملها بين الكلمات (وقد أمضى وأرعبنى افتقاد الأمان) وأنت إذ تكتب بصدق تتداعى بالصدق سائر الأوطان (ويصبح الحلم جميلاً والألم محتملاً) أشهد سيرة الماء (سيرورة الأيام وصيرورتها) أحلم بك .. وبالربيع والأصدقاء (نحن) .

تعمّق فى كلمات الإهداء .. ترها .. وتر نفسك وموضعك لديها يا من تقرأ لها .

إن فوزية مهران التى افتقدت أمنها الشخصى ، والناس فى بلادها يفتقدون الأمان ، لا تعرف فى كتابتها إلا الغرق لتمتلك الحقيقة ، والنداء لمن تريد لهم أن يمتلكوا الغد والأيام ..

نتحطم نعم .. لكن لا نفقد القدرة

فى قصتها "موسيقى قاع الكوب" (وقاع الكوب فى ثقافتنا يحتوى التركيز الأكبر لما يحويه) تهدى البطلة ابنتها كوباً يصدح بالموسيقى الرقيقة حين تشرب منه ، انتقته من بين حطام مدينة كانت عامرة بالإنسانية قبل أن يغتال براءتها الجميلة غول الانفتاح الرديء ، انتقته البطلة لتنتشله وقد صار غريباً بعد أن سرق أيامه جميلة وحسن لا يقتات إلا على الأيام . تاركاً الناس يلهثون وراءها الأيام وهو يعلم علم اليقين أنهم لن يلحقوا بها وقد علمهم ألا يرضوا بما فى أيديهم ، بل ألا يلتفتوا إلى ما فى أيديهم .

كانت راوية القصة فى طريقها إلى بورسعيد "سجلت ابنتى قائمة بالطلبات" لم تأت لها إلا بالكوب ، فموسيقاه التى تصاحب الارتواء "تترقرق دمعاً على المدينة الشهيدة" التى " يجردونها من كبريائها ، يرون فيها مجرد سوق بضائع مستهلكة " وقد "ضاع منا مفتاحها .. وغلقت بيننا الأبواب ".

كنت تبحث عن تاريخ صنعة الناس وغيروا به التاريخ نفسه ، فى وقت يجرى الجميع وراء أيامهم التى سرقت منهم من قبل أن ينطلقوا فى الجرى ، وقد سقط منهم التاريخ الذى يصنع الأيام القادمة . يجرون وراء أيامهم ولا يعيشونها !!

"امتعضت ابنتى أمام هديتى ، قبلتها ربما حياء وتأدباً ، قالت بصمت : أهذا ما حملته لى من مدينة العطور والأزياء وأدوات الزينة " .

زمان يكره الجوهر الإنسانى الذى يكافح الحياة ليعيد خلقها ، بينما يهتم بالطلاء (مخدوعاً) .

" يبدو أنها عاملتها بخشونة- مثل مدينتي- فسقط (يا لكلمة السقوط هذه !) قاع الكوب الذى تكمن به دائرة الموسيقى- خفق قلبى عندما وجدتها ملقاة على الأرض تئن فى ضعف ،حملتها برفق وسدتها (يرتبط التوسد لدينا بالقبر) أعلى صف الكتب فى المكتبة "هى بعض نفسى .. جزء من تكوينى الداخلى .. مضغة من قلب الوطن" (ألا ترتبط المضغة بالولادة من جديد ؟!)

هذه المحطومة الموسدة فوق صف من الكتب (!!) عندما تعزف لابد أن أنصت، أتصل بنبع النغم وأسبح فوق الماء ، تأتينى صورته فى البحر ، يحمل الصغيرة ، يغوص بعيداً عنها ، يعود إليها مادًا ذراعيه تتعلق برقبته، تصرخ تفزع ، تضحك (..) تتحرر ذراتى وتستبق (آه من الاستباق المعذب) يأتينى صوته كى تذكر أباها دائماً ، وتعرف كيف تستمتع بالحياة ، إن احتضان الحياة "أجمل ما فى الحياة ، وأجمل ما نموت من أجله" .

ولا تكتفى المحطومة بذلك "لا أدرى كيف طورت من نفسها ومن عملها ، تعزف عندما أمر من أمامها ، أضيء النور .. أفتح النافذة .. تتبع حركتى (وليس سكونى اليائس) وتعلن عن وجوده (..) تألقت قوى العزف لديها ، تستدعينى عندما أكمن بالداخل (هذا الداخل مجاز ينفتح على ألف معنى) أنهض من أجلها (..) أعادت الدائرة الخرفية (المحطومة) الموسيقى إلى بيتنا .. وصلة أمل ونور .. لم يضع مفتاح المدينة .."

نتحطم نعم .. لكننا نبقى قادرين على الفعل .. والفعل يلملم الشظايا .. وبمزيد من الفعل تلتئم .. لله ما أجمل الحطام القادر على الفعل حين يلتئم فيتجسد جديداً قادراً ..

سيدى الغريق .. والسيدة الغارقة

قصة جميلة ، تجعلنا فيها فوزية مهران نتعايش وامرأة سجينة فى قفص

صنعت قضبانه من نظرات الرجال المبجلة "تقف فى قلب العالم ، البحر يمتد أمامها إلى ما لا نهاية ، تشعر بحنين ، البحر سرها ومرآتها ، أخذ منها رجلها ، عاد الرجال بدونه ذات ليلة ، تزوره كل صباح ، تحكى له ، وتسمع صوته ، تحس بأنفاسه ، تفرد طولها أمامه (أى براعة فى التعبير!) تكشف عن ساقيها ، وتنزل إلى الماء ، يداعب وجهها ، يلثم وجنتيه ، تستسلم لدفء اللمسات والذكريات ، تتشى بحضن البحر، وجهها للسماء تذكر ساعد زوجها ، تلتقط شعاع الشمس . تقف فى مواجهة الضريح . تقرأ الفاتحة (على ساكنه .. على الزوج .. عليها !!) .

البحر أكل الزوج غريباً ، أما الضريح فهو "سيدى الغريق الذى لا بد انجذب زوجها" له "سكن بجواره". سيدى الغريق هذا ذو الكرامات التى يتعلق الصيادون بحواديتها "وقيل يمشى فوق الماء وتتبعه الأسماك ضاحكة .. يجعلها تتقافز فى الشباك .. يعيش بينهم ، يحلفون به ، ويدفعون به غدر الأيام" .

وتبدع فوزية مهران فى أن يتوحد سيدى الغريق بسيدتها الغارقة ، كلاهما موجود بين الناس ، يطلبون من كل منهما الكرامات "أقاموا له مكاناً عالياً" فالرجل (زوجها) "مات وهو يدافع عنا ، طيرتنا موجة عالية من على المركب .. أخذتنا على غرة ، ظل يصارع الموج حتى دفع بآخر واحد منا ، غيبته موجة أخرى عاتية ، ولأنه (زوجها) مات وقد افتداهم ، جعلوه أسطورة، وجعلوها أسطورة (فأغرقوها) "لم يقترب منها أحد ، لم يطلبها رجل للزواج ، ما زالت شابة ،ريانة الجسد ، يموج قلبها بالأشواق ، زفوها إلى البحر ، فمن يجرؤ على أخذ مكانه ؟!" أغرقوها (!!)."سموها أم الرجال ، وهى فى عزها فتية عفية ، كلمتها تمشى على الجميع (لاحظ التركيبة اللغوية العامية الموحية) تقوم بدور القاضى والمفتى والحكيم "متجاهلين أنوثتها ، أغرقوا الأنثى فيها ، واستسلمت لتصوراتهم ، "تستحضره دائماً فى ذهنها قبل أن تحكم تستوحى كلماته وأفعاله .. وتعانى الظمأ للارتواء !.

وبدون مقدمات جاء المحافظ ورجاله ، يريدون تطوير المكان يريدون إزالة الضريح ، ضريح سيدى الغريق "كان الرجال فى البحر. خرجت لهم أم الرجال ، كان شعرها محلولاً (حل الشعر غائر فى المجاز الشعبى) لم تتمكن من تغطيته (أخذت الأنثى فيها على حين غرة) أمسكت بجديلة من شعرها ، أقسمت بقسمها (..) اللى يقرب نصوره قتيل" .

يا للألم ! تدافع عمن توحدت به ودفنت أنوثتها وهى بعد فتية وريانة فى ضريحه ! هكذا شاء لها الاستسلام !! "كانت تدافع عن رجلها مع سيدى الغريق، شهيد يا شبعانين (المحافظ وموظفوه) مات وهو ينقذ أصحابه" وتدافع عن الشهيد قبولاً بالاستشهاد تتجع فى استبقاء الضريح ورفات أنوثتها داخلة!!

ويأتى محافظ جديد "تبدو عليه السماحة والطيبة" وعدهم أن يطور المكان ولا يمس الضريح بسوء "زغردت النساء .. رجل حقيقي قلب عامر بالإيمان يحترم شعور الناس ، أم الرجال تدور بصينية الشربات ، تناول الرجل الكوب منها ، ظل يتطلع إليها وهو يشرب (شديدة الإيحاء هذه الجملة) أغضت حياء (استيقظت رفات الأنثى خارجة من الضريح) وخفق قلبها بشدة ، هربت من نظراته ، صدت مشاعرها ، وبينما تزغرد النساء لتطوير المنطقة ، والإبقاء على الضريح "نظر الرجال لبعضهم ، تلفت العيال على أم الرجال ، تنبه الجميع لاختفائها .. يقولون شوهدت تجرى ناحية البحر محلولة الشعر (مرة أخرى!) حافية القدمين .

آه من الأدوار التى تستهوينا ، وندفع ثمنها ، ويبقى السؤال المؤرق مطروحاً "هل نجد التعويض الحقيقي ، وليس مجرد الإطفاء ومن ثم الانطفاء ولو كن بثمن عظيم ؟!!.

تشبه القصة .. وتشبه صاحبتها

فى "التعويذة" تستخدم فوزية مهران الفعل الماضى تماماً كما هو الفعل

الماضى- فى القرآن حين ترسم الآيات صورة "القيامة" لتوحى بأنها واقعة لا محالة ، وبأن وقوعها وشيك أقرب مما نظن ، أو أنها و" سيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً". وخطاب الأنا فى "التعويذة" يوحى بأن صاحبتها تعانى عذاباً لا ينفك ، وهدآت لا تريح ، وأن "تعويذتها" هى "التعويذة المنهجية من المهالك ، الحارقة للقلب " ولكن ما العمل ؟! كان "لا بد أن تصل إليها فى النهاية وحتى لا تقع فى أيدى الذئاب (أيدى أكثر إيحاء من "مخالب" فهى شديدة الدلالة على ذئبية البشر) وحتى لا ينهش لحمك الغيلان " وهى تحلم بأن تدفع عنها اللعنة المقدسة ، وأن تجد بها الحب، وأن تكون سبيلها للخلاص.

لكن أى لعنة مقدسة تلك التى تريد منها الخلاص ؟ تفاجئك السطور بأن اللعنة تكمن فى الكلمات وأن فى الكلمات الخلاص !! وقبل أن تقع فى الحيرة، تؤكد لك فيما بين السطور أن الكلمات التى تنقذ الجميع ، تجلب الوحوش ليفترسوك لأنك تجرأت وتفوهت بها ، وأن السكوت يكسب الوحوش مزيداً من القدرة على الافتراس وأن "التعويذة" المنجاة والمهلكة هى موقف بين الشجاعة والجبن، هى أن تقول فلا تعرض نفسك للخطر ، وهذا القول يبقى الخطر بل يترك الفرصة للخطر أن يستشرى ويصير سعيراً لا يبقى ولا يذر .

هى لا تستطيع أن تفك عقال الكلام الذى ينقذها إذا أنقذ الجميع وهى لا تقوى على السكوت ، ولا تقبل البين بين، لا تستطيع التخلى عن تعويذتها، ولا تستطيع إلا أن تضيق بها وتحترق .. لهذا هى بين الصحو والنوم، بين الواقع والمأمول ، حلمها مختنق وكابوسها طليق ، تعانى اختناق الحلم وشراسة الكابوس حين تغفو وحين تفيق ، ولا بد من "قارعة" وفى القارعة آتية .. لا محالة آتية ، بل هى وشيكة الوقوع ، بل هى واقعة ، ولكى نتحدث عنها ،نبد حديثاً عنها بالفعل الماضى .

"أنا من تراءت لى- فى طفولتى- أحلام جان دارك. هى قديسة حتماً ،

لكن فلاحة صغيرة ، وأريد أيضاً خلاص أرضى .. أقسم أننى سمعت أصواتاً غريبة مثلها أصواتاً تملأ قلبى ثورة .. وتشعل جسدى بالغضب ".

" احرقونى .. أو اصلبونى إذا أردتم ضحية لذنوبكم .. لكنى أسمع أصواتاً داخلى، لست قديسة ولا كاذبة". " أنتم أيضاً تسمعونها .. الأصوات أخذت ترتفع .. ترتفع .. حتى لم يعد ممكناً أن أظل ساكنة (لاحظ السكون فى مقام السكوت) أصوات تنشق عنها الجدران ، وتتصاعد من الأزقة والشوارع (لاحظ التراتب .. الأزقة أولاً) .. ورأيتنى (عودة للفعل الماضى الذى يجعل فى المضارع آنية لا شك فيها ولا لبس) وسط الجموع الدافقة ، هو الجنون أو الصحوة ، لكنى أستجيب بنشوة للأصوات الهادرة أقول بينهم مثل الفلاح الفصيح ، فلاح مصر القديم (النجاة فى أن تقول ، وأن تقول للفرعون كما قال الفلاح الفصيح) "تراءى لى حلمى القديم ، ولكن ليس حلماً ما أرى ، هى الصحوة ، وأشعة الشمس حارقة ، وهذه الأجساد يفوح منها العرق والثورة.

"أجساد ساخنة تنبض بالحياة ، ليست لأناس نيام ، أو موتى ، يحملون أكفانهم، ليست من أرض بور ".

"انشق البحر وابتلع السحرة مع حبالهم وعصيهم، التصقت بالأجساد الدافئة .. زعقت بأعلى صوتى .. لسانى طائر مغرد .. لا أدرى الآن أين فقدت التعويذة؟ ضاعت وسط الزحام .. داستها الأقدام .. أو ذابت تحت حرارة نشيدى"..

هذه هى فوزية مهران لمن يريد أن يعرفها ، لمن يريد مفاتيح كتاباتها هذه فوزية مهران التى لا تستطيع إلا أن تعشقها ، أن تتعلم منها كإنسان أن خلاصك من الهم الشخصى فى خلاصنا من الهم العام ، وأن الحياة لا تكتسب إلا إذا ما تفهمت البشر ، وأن تتعلم منها كأديب .. أن تكتب كقطر الندى يتكثف على أوراقك وأوراق الآخرين ، يتخللها ، يتماهى مع عصيرها ثم يتساقط على الأوراق رائقاً أخضر .. و "شباب على طول".

إبداع النفس المطمئنة

كرمة سامى

"دعونا ننصت للموسيقى داخلنا" [1]

الولوج إلى عالم النفس المطمئنة فوزية مهران [2] يعنى
أن تكون غايتك هى :"التوجه إلى الله .. والأنس به" [3]
. أن تطأ بقدمك اليمنى عتبة باب السلام حيث
السلامة والأمان فى بيان العبر ومعانى الكلم الطيب .

عمارة فريدة عامرة ،فرشت أرضيتها بالرخام المزين برسوم متنوعة ملونة ، وحفرت على خشب نوافذها وأبوابها زخارف ونقوش نباتية وهندسية دقيقة وكتابات نسخية لآيات قرآنية كريمة مزينة بالسن ، تتوسط صحنها الأوسط منارة كبيرة تضج بها أيقونتها الحية .. لحظتها المتدفقة .. خفقتها الواعدة .. عملها .. مهمتها [4] .

روح شابة متوهجة عفيفة تبدع فلسفة صوفية فى لغة مكثفة تفيض عشقاً للغة العربية ، تقدم لنا دروسا فى الحياة ، سلسة ، رقراقة ، بدون لفتة تشنج أو نبرة وعظ، فتدعوك صديقاً لها ورفيقاً فى رحلة عبر مساحات شاسعة رحبة من البوح والخيال والتأمل وعشق الكون ومبدعه .
هذه الكاتبة "لها روح بحار مثل المتصوفة الأتقياء والرهبان الشجعان ... وحس راهبة" [٥]. تكتب ومضات صوفية تنبع من صميم فؤادها ، تصل مملكة الرحمن داخل قلبها بالكون وبالجنس البشرى . رحلتك عبر عالمها الأدبى تدربك على الصمت والإنصات ، عندئذ ترى الصورة والمصور ، فتثرى الروح بما قرأته العين وسمعته الأذن .

تشير كتاباتها إلى آيات الله الكبرى فى الإنسان والعلاقات الإنسانية. لذلك تلخص رسالتها فى "هواية قديمة" : "نشتغل بعلاج أمراض الإنسانية .. بطهارة عيوننا (انعكاس البصر فى البصيرة هو همنا)" [٦] رسالتها تلك هى التى تحميها من "لعنة الملاح التائه" [٧] ، ولم لا تكون عندئذ كتابتها تسبيحاً وصلاة ؟ عندما تصرخ لنا : "عملى اكتشاف الكلمات .. وإحياء معانيها ونورها .. وخوض بحور الشعر والإبحار فى جوف الكتب" [٨] . نرى الكلمات فى عالمها ومضات من لون وعطر هى زبد خلاصة الكون كما تراه والتجربة الإنسانية كما تخوضها شخوصها فى كل عمل قصصى .. تتعدى الكتابة صياغة الكلمات فى جمل : "متعة القص ، نعمة خلقها الله لنا .. ودربنا عليها .. واستمتعنا من لدنه لأحسن القصص .. وجعلنا نستلهم الحكمة فيها .. ونعمل السمع والبصر " [٩] فى جوهر تلك المعانى يقظة بصيرة لا تبدع إلا أدباً يقطر عذوبة ورقياً ومثالية ، ويفيض شفافية نورانية تهمس محبة للخالق وكل ما هو مخلوق .

"نفسى مطمئنة .. متاحة للنور ..

جو شفيف .. رائحة نقاء وبراءة " [١٠]

والنفوس ثلاثة : " أمارة- ولوامة- ومطمئنة" [١١] وثالثتهم هى التى

تستسلم لمشيئة الله سبحانه وتعالى وتتوكل عليه ، "والمطمئن هو المنخفض من الأرض . فإذا انخفضت بتواضعها وانكسارها أثنى عليها مولاها إظهارا لفخرها لقوله صلى الله عليه وسلم : " من تواضع لله رفعه الله " (١٢) . من هنا نتلمس فى كتابات فوزية مهران تحريضاً على "مقام الطمأنينة " الذى ليس له طريق سوى "الاستسلام إلى الله تعالى ، وعدم التدبير معه " (١٣) "والطمأنينة هى "حال رفيع تكون لعبد راجح عقله وقوى إيمانه ورسخ علمه وصفا ذكره وثبتت حقيقته" (١٤) وهى تتمثل فى عالم فوزية مهران الأدبى من خلال أصوات رواة سرد تهبهم الكاتبة بسخاء من "حوانيتها الساطعة" (١٥) فنشعر بأن الله "أنعم عليهم بالنعماء الجسيمة ، وعصمهم من الأهواء السقيمة ، ومنَّ عليهم بالقلوب السليمة ، وسلك بهم سبيل المحجة المستقيمة " (١٦) .

لا تقتصر شخوص عالم فوزية مهران الأدبى على أبطال أعمالها الأدبية وإنما تتسع لاحتضان كلماتها فى أعمالها غير الروائية بما تفيض به من بيان ومعان . هم جميعاً أمامها "أهل المحبة والوفاء" (١٧) الذين سعدت بصحبتهم الآمنة عبر تاريخ من دوام احتمال الصبر على الشدائد ومجاهدة النفس ومشاهدة المسبب . فتصاغ النصوص كأنها نصوص شعرية :

تصاعدت فى القاعة نغمات .. / تناغمت أبيات.. / عدنا نهوم بين الموانى البعيدة .. / وقاع المدينة .. / نعتلى صارى حاضرة البحر (١٨) .

فى قالب سردى غير تقليدى ، يتطلب منك وعياً وتسليماً ، وبكلمات قليلة تبوح بالكثير، تشيد فوزية مهران عالماً صوفياً واقعى الملامح يتنعم فيه القارئ بملذات المعانى ويجد نفسه فى رحاب المستقبل عملاً بالمبدأ : "الاشتغال بوقت ماض تضييع وقت يأتى " (١٩) تتركز محاور عالمها الزمنية فى احترام الماضى وتدبر الحاضر وتخطيط المستقبل . ويتأرجح المكان بين المدينة والبحر (موتيفتها الأصيلة وعشقهـــا) مع ثبات المبدأ الإنسانى "العمل / الجهاد" رغم

اختلاف الأمكنة والأزمنة . بطل فوزية مهران ليس الملاح التائه بل البحار الفارس الجميل ، ينتشر عبقه عبر اللوحات المختلفة فى عالمها الأدبى مع تحول "نوعه" (gender) من عمل إلى آخر فى لمحات من مواقف درامية تجتمع فى تكوين الرؤية التشكيلية للكاتبة ، فهو يتشكل فى شخوص تتمتع بنفس الملامح النبيلة وروح الفروسية التى تصر الكاتبة على أن تجعلنا نراها فى مواقف حياتية معاصرة لكى لا يخبو الأمل فى مهندسة أو شاعرة أو أرملة طيار أو جدة أو أديبة أو طالبة جامعية.

تتجسد ملامح عالم فوزية مهران الأدبى وفكرها الإنسانى فى قصة "أمومة" التى تجمع بين المكر الفنى فى الحبكة ، والعرض الدقيق العميق للعلاقة بين الخاص والعام بما يرتبط بهما من قضايا إنسانية وسياسية وقومية. القصة بسيطة ولكنها تضاهى لوحات الأمومة لأكبر الفنانين التشكيليين عندما تصور لنا فوزية مهران بقلمها / ريشتها أماً فلسطينية تجلس على عتبة دارها ترعى رضيعتها . لا يتوقف الحدث وإنما تتحرك الشخوص داخل اللوحة عندما تدعو "ملاحة" البطلة / الأم الفلسطينية رضيعتها : " اكبرى يا بنت بسرعة .. ما تفوتك لعبة الحجارة" [٢٠] نرى ريشة الكاتبة ترسم لنا خلفية اللوحة : " (حجارة مباركة يلقيها أطفال لتحرير الأوطان- ويتبعها دائماً قصف ورعد وانتقام) " [٢١] ثم يطارد جنود الاحتلال طفلاً من أطفال الحجارة فيستنجد بملاحة التى تهب لحمايته ولكنها تنسى رضيعتها أمام الدار ، يكتشف الجنود اللفافة البيضاء التى تحمى اللحم الفلسطينى العربى الغض ، يقرر قائدهم ببطولة وحكمة قتلها : "أعدمها قبل أن تكبر وترجمنا بالحجارة .. ماذا تنتظر يجب قتل الصئبان قبل أن يفقس قملاً " [٢٢] تكاد ملاحة التى تحتضن الطفل المطارد تموت جزعاً على ابنتها . هنا تتدخل الكاتبة : " السيدة فى البيت المواجه للعربة .. تندفع فجأة مولولة وصارخة : ماذا تفعل بابنتى .. كنت بطريقى للسوق عندما تذكرته الموقد المشتعل .. خشيت عليها .. خفت أن أجد نارا " [٢٣]

يتحول القارئ من اليأس إلى الرجاء : "هجمت عليه بوحشية وقد تزحلقت عصبة رأسها .. بدت مخيفة ومشتعلة .. ومروعة ، هجمت وانتزعتها منه وفمها يرعد باللعنات " [٢٤] الكل أمهات ، والكل أبناء ، الشعب وحدة واحدة ، كتلة من صمود وبطولة ، هكذا تنتصر الكاتبة للبطلة ، لجارتها ، لطفلتها ولطفل الحجارة وللشعب الفلسطيني وأخيراً للقارئ .

هناك كتابات تصيب القارئ بأزمة قلبية ، وكتابات أخرى تثرى الروح وتطهرها . النوع الثانى هو الكتابة التى تنهى عن ضعف القلوب وترجو رهافتها وهى التى استلهمتها فوزية مهران من حرصها على "المعية الفائقة" [٢٥] ممدودة بأنوار القرآن الكريم فى آية وبشرى (١٩٨٧) ومواقف قرآنية معاصرة (١٩٩٠) ورب اجعل لى آية (١٩٩٢) هى تدبير محمود يقربها إلى الخالق سبحانه وتعالى ويرفعها درجات إلى منزلة الكتاب الذين تحملوا عبء التنوير والتوجيه فى الأمة العربية . فهى كاتبة "مرفوعة القلم" تشهد كتاباتها الإبداعية والصحفية بأنها ذات قلب سليم وعقل رزين ، يترك نور العقل حلاوة فى قلبها وراحة فى نفسها . هدفها هو إصلاح الباطن ، وكيف لا يتحقق لها هذا الهدف وهى التى تجعل الكتابة ملتصقة باسم الله فتوجهنا وتدعونا إلى مملكته السمحة الرحيمة ؟!. ذلك هو الأدب النافع الذى يمكث فى الأرض الذى من خلاله نتعلم أن نقرأ كتاب الله (الكون) وكلمته (القرآن الكريم).

"أشواق الأيام الجميلة القادمة" [٢٦]

فوزية مهران كاتبة يغمرها النور. تهمس لنا دائماً بدعوة رقيقة لمعيتها فتفتح لنا مع فعل القراءة آفاق عالمها الرحب فنقرر : إنما القراءة أخوة ! والعمل المقروء هو "سبب تعارفهم وموجبة تواددهم" [٢٧] ليست القراءة فعلاً سلبياً بل محاولة للإنصات إلى الموسيقى العذبة داخلنا رغم عزف جوقة الشياطين من حولنا ، وحين تكون سيدة هذا العالم هى الكاتبة فوزية مهران تصبح الكتابة فريضة ، والأدب وطنا ، والقراء عشيرة ، والنقاد أصدقاء .. عندئذ نستطيع أن ننصت للموسيقى داخلنا !!.

الهوامش :

(١) فوزية مهران "أغنية البحر" بيت الطالبات ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ ، ١٩٠ .
(٢) ولدت فوزية مهران بالإسكندرية وتلقت تعليمها فى دمياط والمنصورة والقاهرة . كتبت منذ عام ١٩٥٤ العديد من المجموعات القصصية والكتابات الفلسفية الصوفية والنقدية من أشهرها بيت الطالبات، أغنية للبحر ، مواقف قرآنية معاصرة ، آية وبشرى ، رب اجعل لى آية ، فنار الأخوين ، أوراق لطيفة الزيات الشرسة والجميلة وغيرها ، ونحن فى انتظار "أوراق ديسمبر" ، حصاد نصف قرن من الإبداع المتدفق ، وسجل مواقف حياتية وأدبية مشرقة لكاتبة مصرية عربية لا تكتب إلا صدقا .
(٣) فوزية مهران ، آية وبشرى ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٧ ، ٥ .
(٤) فوزية مهران ، "أغنية البحر القديمة "أغنية للبحر ، عيون جديدة ، ١٩٩٤ ، ٦ .
(٥) فوزية مهران "أغنية البحر" بيت الطالبات ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ ، ١٩٠ .
(٦) فوزية مهران ، "هواية قديمة" ، أغنية للبحر ، القاهرة ، عيون جديدة ، ١٩٩٤ ، ١١٠ .
(٧) فوزية مهران ، "مجنونة" ، أغنية للبحر ، القاهرة ، عيون جديدة ، ١٩٩٤ ، ٩٧ .
(٨) فوزية مهران ، "قاموس البحر" ، أغنية للبحر ، القاهـ عيون جديدة ، ١٩٩٤ ، ٤٨ .
(٩) فوزية مهران ، "قاموس البحر" ، أغنية للبحر ، القاهرة ، عيون جديدة ، ١٩٩٤ ، ٤٩ .
(١٠) فوزية مهران ، "صلاة" ، أغنية للبحر ، القاهرة ، عيون جديدة ، ١٩٩٤ ، ٨٢ .
(١١) أحمد بن عطاء الله السكندرى ، التنوير فى إسقاط التدبير، القاهرة ، جوامع الكلم ، ١٩٩٠ ، ١٥٠ .
(١٢) أحمد بن عطاء الله السكندرى، التنوير فى إسقاط التدبير ، القاهرة ، جوامع الكلم ، ١٩٩٠ ، ١٥١ .
(١٣) أحمد بن عطاء الله السكندرى، التنوير فى إسقاط التدبير ، القاهرة ، جوامع الكلم ، ١٩٩٠ ، ١٥١ .
(١٤) طمأنينة ، "المعجم الصوفى "د. عبد المنعم الحفنى ، القاهرة ، دار الرشاد ، ١٩٩٧ ، ١٦٠ .
(١٥) فوزية مهران ، "قاموس البحر" ، أغنية للبحر ، القاهرة ، عيون جديدة ، ١٩٩٤ ، ٥٣ .
(١٦) أبو عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذى ، بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب . تحقيق د. نقولا هير . القاهرة ، دار العرب ، ١٩٨٧ ، ١٠٢ .
(١٧) أبو عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذى ، بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب . تحقيق د. نقولا هير . القاهرة ، دار العرب ، ١٩٨٧ ، ١٠٣ .
(١٨) فوزية مهران ، "حاضرة البحر" ، أغنية للبحر ، القاهرة ، عيون جديدة ، ١٩٩٤ ، ٢١ .
(١٩) أبو عبد الرحمن السلمى النيسابورى ، جوامع آداب الصوفية ، القاهرة ، جوامع الكلم ، ١٩٩٩ ، ٦٣
(٢٠) فوزية مهران "أمومة" ، أغنية البحر ، القاهرة : عيون جديدة ، ١٩٩٤ ، ٦٩ .
(٢١) فوزية مهران "أمومة" ، أغنية البحر ، القاهرة : عيون جديدة ، ١٩٩٤ ، ٧١ - ٧٢ .
(٢٢) فوزية مهران "أمومة" ، أغنية البحر ، القاهرة : عيون جديدة ، ١٩٩٤ ، ٧٢ .
(٢٣) فوزية مهران "أمومة" ، أغنية البحر ، القاهرة : عيون جديدة ، ١٩٩٤ ، ٧٢ .
(٢٤) فوزية مهران "أمومة" ، أغنية البحر ، القاهرة : عيون جديدة ، ١٩٩٤ ، ٧٣ .
(٢٥) فوزية مهران "أمومة" ، آية وبشرى ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٧ ، ٥ .
(٢٦) فوزية مهران "هواية قديمة" ، أغنية البحر ، القاهرة : عيون جديدة ، ١٩٩٤ ، ١١٠ .
(٢٧) أحمد بن عطاء السكندرى ، التنوير فى إسقاط التدبير ، القاهرة ، جوامع الكلم ، ١٩٩٠ ، ٢١٨ .

"فنار الأخوين" .. منارة الحكى الجميل

د. ماجدة منصور حسب النبى

تصف فوزية مهران "سيف" الشخصية
المحورية فى "نوبة مرح" قائلة على لسان الراوية "أعتقد
أن له من اسمه نصيباً ، لامع الوجه حاد اللسان" ... وبالمثل
أعتقد أن لفوزية مهران من اسمها نصيباً .. كاتبة ماهرة،
تكتب بحرفية وتلقائية يندر أن يجتمعا .

من خلال التركيز الذى هو عمود فن القصة القصيرة تقدم فوزية
مهران نصوصاً رحبة تتسع لتشمل الفلاحين ، البحارة ، الانتخابات :
تغوص فى العلاقات بين الرجل والمرأة ، وتبعث الحياة فى أنماط ساكنة :
الإعلامى اللامع ، الزوجة الغيور ، وسيادة السفير الغريب فى بيته .

تتسع المجموعة القصصية "فنار الأخوين" وتتناص في سلاسة لتحتضن بين أجنحتها الأربعة والعشرين نصوصاً أخرى كثيرة : كفاح جان دارك ؛ قصة سيدنا موسى ؛ "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح ، وأشعار صلاح عبد الصبور؛ وأغاني لسيد درويش وليلى مراد ؛ بل وقصص المصريين القدماء المحفورة على جدران المعابد .

تسمو اللغة وتستمد من كتاب الله نوراً فتشع بصدى آياته وتركيباته المألوفة الحبيبة ، فالسفينة تقترب من الفنار "تطلبه حثيثاً" : والزوج البحار في "كتاب البحر" يقول لزوجته "أرى أنك لن تستطيعي معي صبراً" فتجيبه "ستجدني إن شاء الله من الصابرين" ، وتتوالى التشبيهات والتعبيرات القرآنية ، فتصف فوزية مهران الشجرة بـ "الشجرة المباركة" التي "لا يبلغ منها الكبر" ، وتسمي الأجيال "بنين وحفدة" في قصة "الشجرة" تتفاعل الشخصية/ الراوية مع الشجرة وتلتف حولها مع الأصدقاء "تأخذ ما تأتينا بقوة". وفي "أين انتهينا" يرعى الزوجان أرملة جارهما الطيار بعد وفاته ، ويهتمان بها اهتماماً بالغاً .. تحكي الزوجة :

أخذنا نرصد حركتها .. نخشى عليها إذا لم تبد في الشرفة .. ننتعش.
وندعو له إذا وجدناها تسقى الزرع .
ظلت بأعيننا ووعينا .

هكذا تختار فوزية مهران لغة شاعرية وتظل تسمو بالكلمات حتى تدثرها برداء مطعم بخيوط قرآنية مطهرة .

وللقرآن الكريم حضور قوي في مجموعة "فنار الأخوين" ليس فقط ككنز للمفردات والتركيبات ، وإنما كمصدر وحي لما ينبغي أن تكون عليه النصوص على الإطلاق : هدىً للناس. فالقارئ للمجموعة يستطيع أن يستشف منذ بدايتها أن الهدف من الحكي عند الكاتبة

يختلف عنه عند كثيرين من كتاب وكاتبات القصة ممن يهدفون لفضح الواقع وإبراز قبحه وكآبته بينما يلمحون إلى استحالة تغييره ، أو ربما يرون الحكى هدفاً فى حد ذاته . فالكلمة عند فوزية مهران "نور، جمال وكشف وصلاة" كما تبوح بذلك فى كلمة الغلاف ، والهدف "أن يلتمع الفنار بوهج الحقيقة ، شاهد صدق وبصائر للناس " وبينما يشعر القارئ بعد انتهائه من أعمال بعض الكتاب باليأس والاكتئاب ، يرى قارئ فوزية مهران دائماً بارقة أمل بالرغم من كل شيء . ففى قصتى "استغاثة" و "الصدأ" تولد الشخصية المحورية من جديد : يتغلب الجراح البحار على خوفه فى "استغاثة" :

انتعش وتنفس بقوة . لم يكن يخشى القرش أو وجود أى وحش ..

لو وجده سيواجهه ، سيقاومه- ومع أصدقائه البحارة ينتصرون عليه .

نظر إليهم بحب .. استقبل بالتصفيق . أمر القائد بعزف الموسيقى ..

شعر بأنه يحلق فى السماء . تمنى لو تأتى أمه لتراه . ويرتمى على صدرها . وكانت الشمس تميل لتلثم البحر .

وفى "الصدأ " تتغلب الشخصية المحورية على مرض الاكتئاب لتذوب فى صلاة الجماعة على ظهر السفينة . وصلاة الجماعة هنا ليست الصلاة التى نعرفها ، وإنما هى الصلاة بمعناها الأشمل .. العبادة والصلة بالله عن طريق إماطة الأذى وإعمار الأرض :

أحس أنى أزيل أطنانا من الصدأ . الخطر يتهددنا جميعاً ، يهدد الحياة والسفينة .

نحن نركع نشترك فى عملية الدق ، نؤدى نوعا من الصلاة ، بل هى صلاة .

كل ما يهم أن يزول الصدأ ، تنمحى تلك النقط الخبيثة المحمرة .

ضرباتنا معاً تزيلها ، أيدينا معاً تقوى على صمودها ، ألقيت عبء القوقعة، ألقيت بها فى البحر ربما .

يدى تعلو وتدق ، روحى تصلى . أستنشق الهواء بحرية أكبر . تعلو هامتى فوق مركبى ، وينجلى معدنى من الصدأ (٢٩- ٣٠) .

هكذا يتألق قلم فوزية مهران ليحرك تشبيهاً تمثيلياً بديعاً تتتابع فى رسمه الجمل كدقات المطرقة قصيرة وقوية ، وتذوب بواسطته حركة صعود وهبوط المطرقة فى حركة قيام وسجود المصلين ليصبح الاثنان شيئاً واحداً .

يستشعر القارئ يقين الكاتبة بقدرة النص على الإصلاح ، بل تصرح فوزية مهران بهذا اليقين فى قصة "زورق الحب" من خلال الحوار بين الأم وابنتها الصغيرة : فبينما تستغرق الأم فى قراءة رواية "موسم الهجرة للشمال " للطيب صالح تسأل الابنة فى براءة ما إذا كان الكتاب يقدم إرشادات عن كيف يصبح الإنسان طيباً وصالحاً . ترد الأم : "لم تبتعدى يا ابنتى عن الحقيقة كثيراً .. فهى وظيفة الفن أيضاً " وتحدد الابنة السؤال : "هل هو كتاب دينى؟" وتعلق الراوية / الأم على السؤال (حسبته "ابنتى" كذلك ولأنى أقرأه بإمعان . فى ركنى البعيد .. وخلوتى الهادئة) فترد الأم / الراوية فى ثقة تعكس ثقة فوزية مهران نفسها :

"ممكن اعتباره كذلك .

فغاية الديـن العمل الصالح.. وحياة طيبة ـ وهو كتاب دينى بهذا المعنى ـ لأنه نفس هدف الفن الصادق ".

يعكس هذا الحوار قلق وطمأنينة فوزية مهران الكاتبة .. فلعلها تتساءل بحس إيمانى مرهف، نفس لوامة عن سعيها هى فى الحياة وتطمح أن يكون سعياً مشكوراً .

فى "التعويذة" تفجر الكتابة ثورة ، وتلجأ فوزية مهران إلى الخيال السريالى فترسم صراعاً بين الراوية مكتشفة التعويذة والذئاب الذين

يطاردونها ، وفيما يشبه الكابوس تحكى : " أعرف أن فرصتهم الوحيدة تكون فى خروجى يوماً بدون التعويذة وهى اللحظة التى ينتظرون .. ساعتها يكون السقوط ، يذهب عنى سر قوتى .. يحلقون لى رأسي ... " ويحتدم الصراع / الكابوس ولا ينفرج إلا حين تلتحم الكاتبة الراوية / صاحبة التعويذة بالآخرين ، وتذوب معهم كما فعت ليلى بطلة لطيفة الزيات فى "الباب المفتوح" لنستشعر مرة أخرى "عودة الروح" حيث الكل فى واحد .

وهذه الأجساد يفوح منها العرق والثورة .. أجساد ساخنة تنبض بالحياة ..

ليست لأناس نيام . أو موتى يحملون أكفانهم . ليست من أرض بور .

انشق البحر وابتلع السحرة مع حبالهم وعصيهم . التصقت الأجساد الدافئة . زعقت بأعلى صوتى .. لسانى طائر مغرد ، لا أدرى حتى الآن أين فقدت التعويذة .. ضاعت وسط الزحام .. داستها الأقدام .. أو ذابت تحت حرارة نشيدى .

الكتابة إذن ليست هدفاً فى حد ذاتها ، وإنما هى وسيلة تؤدى إلى غاية أكبر هى انتصار الحق واندحار القهر والفساد .

تكشف مجموعة "فنار الأخوين" عن إحساس مرهف بالفقراء والمهمشين، ففى "يا مدحرج الليمون" تثير فوزية مهران مشاعر الشفقة والخوف لدينا حين تجعلنا نتوقف فى الطريق كى نرى بوضوح بائعة الليمون ونتساءل مع الراوية : "من لامرأة وحيدة تبيع بالليل الليمون؟ .. ربما لا مكان لها لتعود .. مهجورة .. مطرودة- متمردة أم فى انتظار مجهول ؟ تزجى بضاعتها وكمدها على الطريق العام- ربما لا تقدر أن تعود بدون نقود .. "، " وربما هى عارية تماماً تحت خيمة الحرير وتلافيف العباءة

السوداء . تتمايل لوقع طبول قادمة لها فى الطريق". وصورة أخرى تقدمها فوزية مهران فى "لعبة مسرحية" لأسرة تنتظر فى خوف ورجاء لحظة أن تضع الدجاجة بيضة ليجرى الأخ الأكبر بعدها إلى البقال ويقايض على طعام العشاء له ولأخوته .

تحتفى فوزية مهران فى مجموعتها بالعلاقات الإنسانية الحميمة بشكل عام وبالأسرة بشكل خاص : ففى "موسيقى قاع الكوب" : "يحفر الأب صورته وحبه فى ذكريات الابنة ، يعلمها العوم .. درس الاستعداد ولتحتضن دفقة من بحر الوطن " وفى "سيدى الغريق" يستمر حوار العاشقين بين أم الرجال وهى تدافع عن رجال القرية ونسائها وأطفالها ، وقد التحم ماضيها الخاص بماضى وتراث بلدتها الممثل فى ضريح سيدى الغريق . والذى قرر المسؤولون هدمه كى يحولوا المنطقة إلى مدينة سياحية عالمية !!.

وأخيراً نتوقف عند "فنار الأخوين" القصة التى تحمل اسم المجموعة حيث تعيد فوزية مهران فى هذه القصة كتابة المفهوم الشعبى للعمل الجماعى والذى يقرر أن " المركب اللى فيها ريسين تغرق". تصور القصة العلاقة الأخوية بين زياد وجلال زميلي الدراسة والعمل والتى لا تخلو من المنافسة المشروعة . تسير المركب بالأخوين ، يتجاوزان المنافسة البريئة ويصلان إلى بر الثقة والأمان . وبينما تستدعى المناوشات بينهما أول صراع بين أخوين فى التاريخ "قابيل وهابيل" ، يقف الفنار صلباً شاهداً على ابتعادهما عن هذا النمط وعلى انتصار ما بينهما من حب . تختم فوزية مهران القصة : "تبادلا التحية .. والتمعت العيون بالثقة " .

تحية لفوزية مهران وثقة كبيرة فى فنها .. فنارها الجميل .

فنار الأخوين وتجليات البحر

مديحة أبو زيد

تشم رائحة البحر بكل مفرداته فى مجموعتها القصصية الجديدة (فنار الأخوين) وفيهـــا تعرض لنا الكاتبة والناقدة فوزية مهران أربعاً وعشرين قصة قصيرة .

ومن خلال السرد الجيد واللغة الشفيفة التى تصل أحياناً إلى الشاعرية يجد القارئ المتعة والجاذبية وخاصة عندما يلتقى بمفردات البحر التى تجسد هذا الجو المثير من رائحة اليود الموج الذى يرتطم بصخور الشاطئ ، السمك ، السفن العائمة ، الطيور المهاجرة ، السماء الصافية .

ومن خلال السرد الجيد نجد الرؤية العميقة التى تطرحها كل قصة والتى تتنوع فى كل منها .. ففى قصة (استغاثة) تقول الكاتبة فوزية مهران: "البحرية تربى الرجال والسفينة عملها كما دورة الحياة) كما نجد قيمة التضحية والشهامة فى نفس القصة أيضاً. والكتابة لدى فوزية مهران ليست كتابة عادية ولكن نلمح فيها فلسفة الحياة والوجود كما تقول فى قصة "الصدأ" : "سجلنا هذا البحر نعيش بنفوس عارية بين السماء والماء". كما تنشد فى نفس القصة روح الجماعة حتى تتمكن من إزالة الصدأ الذى هو رمز لكل ما هو ردئ وقبيح وحتى نستنشق الهواء بحرية أكبر .

وفى قصه (طبيب القلب) تعطينا مقولة مهمة (تندمل الجراح حين البوح بها) كما نلاحظ فى هذه القصة أيضاً تعدد الأصوات ورغم ذلك فيها التلقائية والحبكة الدرامية والخيط السحرى الذى يربط الأصوات ببعضها وينقل المتلقى من صوت إلى آخر دون أن يشعر بالكلفة أو الصنعة.

والبحر أو النيل هو شريان الحياة بالنسبة للكاتبة والمتعة الحقيقية عند فوزية مهران عندما يعتلى الإنسان مركباً على النيل ويستمتع بلحظات جميلة. يستنشق فيها الهواء النقى . هذا النهر الذى يبعث على الحياة من جديد وما أجمله عندما يجمع الأصدقاء والمحبين .

هذا النهر الساحر الذى يجذب كل البشر رغم اختلاف ميولهم وطبائعهم. تقول ذلك من خلال قصة (المائدة) " هذا اللقاء الجميل كان دعوة للعشاء من قبل شخصية مهمة لبعض الأصدقاء والمحبين " وفيها تتحدث عن هموم البشر لا على المستوى المحلى فقط بل على المستوى العالمى عندما تقول "العالم الحديث يحتاج إلى تكتلات اقتصادية واجتماعية" .

كما تعرض أيضاً لنماذج مختلفة من النساء فكل واحدة تعزف على وتر مختلف ، وتكشف أيضاً عن زيف هذا العالم عندما تقول " لا صداقة بين الدول وإنما هى مصالح" وتأتى هذه المقولات فى سياق السرد الجميل ودون صنعة . إنها ترصد العالم من فوق سطح سفينة عائمة. ومن براعة الكاتبة أيضاً أنها تستنشق الأشياء العزيزة علينا وتبث فيها الروح ففى قصة (الشجرة) تسرد من خلال جماعة المشائين وهنا نجد الجديد الذى ابتدعته ومن هؤلاء .. شيخ حزين كثيراً لأن حفيده أراد كسر جذع الشجرة الأم فى حديقتهم لأنها تحجب عنه الرؤية . تقول الكاتبة .. إن تلك الروح الجميلة المسبحة (الشجرة) خلقت لتبقى مصدراً للجمال وآية للبذل والسعة وتهب حرية للسمع والبصر". ثم نجدها تمنح المتلقى كماً معرفياً عندما تعرض أنواعاً منها (الصفصافة الهرمة ، الزيتونة المعتقة ، أم الشعور المدللة ، ذقن الباشا المنمق) فكثير من الناس يرون الأشجار ولا يعرفون عنها شيئاً . ثم نجد التقديس للشجرة واحتفاء جو من الساحرية والأصالة عندما تقول ".. إن تلك الشجرة التى يريد الحفيد كسر جذعها مدفون تحتها المشيمة لكل المواليد والخلاص، فهى تضم الأجيال القادمة، وقد شهدت انكسار الحلم واللحظات المتوهجة". وهنا نجد الشاعرية أيضاً كما جعلت الشيخ يتوحد مع الشجرة التى تمتص آلامه وتسرى عصارتها المشعة داخله .. وهنا نجد فلسفة الوجود . ودعوة للتوحد مع الطبيعة الساحرة الخلابة كما نلمس أيضاً الحس الصوفى .

فى قصة الفنار التى عنونت بها الكاتبة مجموعتها القصصية نلمس حس الإنسانية فهى مؤثرة فهناك ثلاثة رجال يعيشون فى الفنار القائم على صخرة الأخوين . أكبرهم أب لشهيد . فضل البعد عن الأحزان . أما أحد

الشابين فهو صديق للشهيد وهارب من انتظار سنوات لفرصة عمل . أما الثالث فهو هارب من قصة حب فاشلة واستطاع كبيرهم وهو ربان الفنار أن يدفعهم للصبر والاحتمال وشغل وقت الفراغ . فصديق الشهيد فنان . استطاع أن يرسم صورة للشهيد . أما الشاب الثانى فاستغل وقته فى عمل حجرة نوم لعروسه .

وهنا نجد أيضاً فلسفة للوجود . فالسفينة هى رسول المحبة وبعثه للأصدقاء . تصلهم بجو العيش وأحوال الناس وهى التى حملتها بصحبة أمها إلى الفنار الذى يمثل لها شاهداً على حاجة الناس للحب والإخلاص والدعوة للصبر والاحتمال ونشر رسالة المحبة والسلام ومن كثرة عشقها للبحر والفنار تمنت لو تعمل فيه مثلهم .

والجدير بالذكر أن قصص المجموعة فى مجملها قصص إنسانية مؤثرة . تحمل فى مضمونها رؤى لفلسفة الوجود وقيماً إنسانية نبيلة تدعو للخير والحق والجمال ونبذ كل هو ردىء .

كما استطاعت الكاتبة فوزية مهران أن تطرح رؤيتها التى تتنوع فى كل قصة مستفيدة من خبرتها وعشقها للبحر والطبيعة .

فوزيــة مهــران

(سيرة ذاتية)

- فوزية مهران عيسى
- الميلاد فى الإسكندرية ٥ ديسمبر ١٩٣١ .
- تخرجـــت فى كليـــــــة الآداب ـ جامعــة القاهرة قسم الأدب الإنجليزى عام ١٩٥٦.

(أدركت منذ البداية أن "الكتابة " طريقها وعملها وبدأت النشر فى سن مبكرة).

- التحقـت للعمـل بدار روزاليوسف الصحفية قبل ثمانية شهور من إصدار مجلة صباح الخـير التى ساهمت فى تأسيسها والإعداد لـها .. وصدور العدد الأول فى ٥ يناير ١٩٥٦ ، وهو تاريخ تحرير عقد العمل أيضاً.

- منذ بداية الستينيات خصت مجلة روزاليوسف العريقة بإنتاجها الأدبى والنقدى .
- عينت مسئولة الثقافة بمؤسسة روزاليوسف عام ١٩٧٢ .
- اختيرت عضو مجلس إدارة من عام ١٩٨١ إلى عام ١٩٩١ .

● توالى نشر مقالاتها وإبداعها النقدى والأدبى فى الصحف والمجلات المصرية.

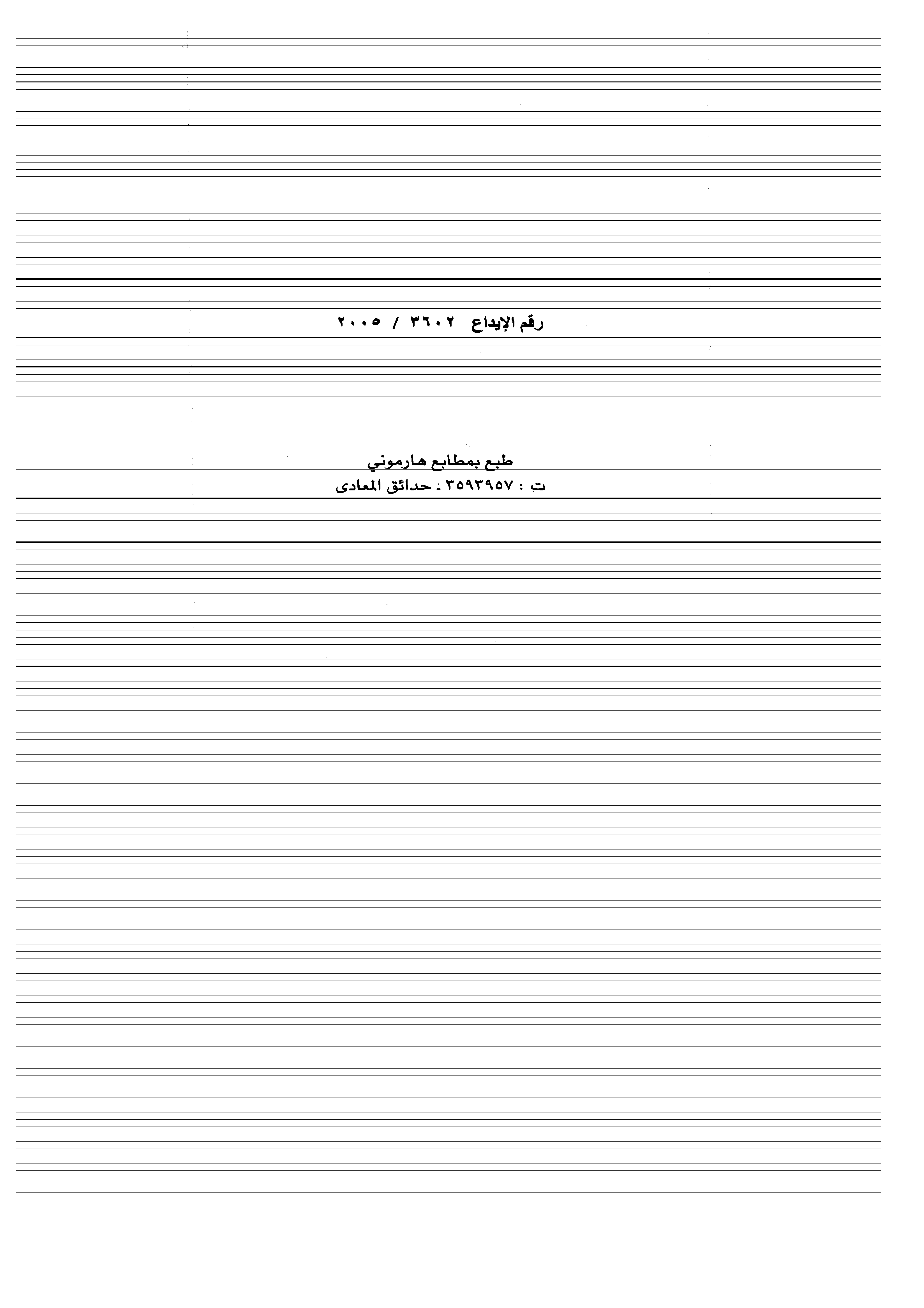
● تتولى تحرير مقال أسبوعى بجريدة "الأسبوع" منذ بدء صدورها ـ فبراير ١٩٩٧ وحتى الآن .

● إصداراتها :

- **مجموعات قصصية** : بيت الطالبات ١٩٦١ ـ نجمة ميناء ـ مهاجر فوق الماء ـ بحر ٣ ـ أغنية للبحر ـ فنار الأخوين .
- **الروايات** : جياد البحر ـ حاجز أمواج ـ السفينة (ثلاثية الهزيمة ـ الاستنزاف ـ العبور) .
- **المسرحيات** : البيوت ـ التماثيل تنتحر ـ الحق المصلوب .
- **كتب نقدية** : أوراق لطيفة الزيات الشرسة والجميلة ـ مواقف معاصرة ـ آية وبشرى ـ رب اجعل لى آية .

● بالإضافة إلى إسهاماتها الجادة فى أنشطة الثقافة الجماهيرية (هيئة قصور الثقافة) من خلال الحضور المؤثر لفعاليات هذه الأنشطة فى القرن والمدن ومتابعة الحركة المسرحية بالتحكيم والنقد والتوعية .

المحتـــــــوى



رقم الإيداع ٣٦٠٢ / ٢٠٠٥

طبع بمطابع هارموني
ت : ٣٥٩٣٩٥٧ ـ حدائق المعادى